2

تحليل مضمون الخطاب الاتصالي
سوسيولوجيا فهم الآخر

د. كريم محمد حمزة
كلية الآداب – جامعة بغداد

ج2

مقدمـــة

في حوالي عام (1974) وكنت آنذاك باحثاً علمياً في المركز القـومي للبحـوث الاجتماعية التابع لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية (ألغي حوالي منتصف الثمانينات بدون سبب وجيه). التقيت بالأستاذ سعد لبيب أحـد رموز الأعلام في مصر. وكان قـد جاء إلى العراق بعد التغيير الذي حدث في بلده على عهد السادات. وقـد اشـتغل في معهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني التابع آنذاك للإذاعة والتلفزيون وكنت حين قابلته بصحبـة المرحـوم الدكتور مصباح الخيرو نعمل مع مجموعة من الشباب، سوسيولوجيين وإعلاميين ونفسيين، منهم الدكتور –فيما بعد– ياس خضير البـياتي. كانت مجموعة قابـلة لاكتسـاب مزيد من الخبرة، ومرشحة لنشاطات بحثية مميزة إلا إن الظروف لم تسمح لها بذلك.

قال الأستاذ سعد لبيب إننا نتعامل مع الوثائق والخطابـات الإعلامية، وما أشبـه، بطريقة مختلفة هي طريقة تحليل المضمون Content Analysis ولم يكن (د.مصباح وأنا) قد اطلعنا على هذه الطريقة بما يكفي لتمكيننا من الحوار معه حولها. ولذلك قلت للمرحـوم مصباح علينا أن نذهب الآن إلى المكتبة المركزية لكي نستعير كتاباً أو أكثر حول الطريقـة المذكورة حتى نبدأ باستخدامها مع مجموعة البحـث في معهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني وأظن إن أول كتاب وقع في أيدينا هو كتاب بر لسون وجانوتز.

(Berelson and Janowitz -Reader in Public Opinion and Communication -1966)

عندها قلت للدكتور مصباح إنني – لكي أتعلم ما هو تحليل المضمون– لابد أن اقرأ أكثر حتى أستطيع أن اكتب دراسة عن طريقة تحليل المضمون وهكذا كان. ونشرت الدراسة في العددين الأول والثاني من مجلة البحـوث الاجتماعية والجنائية التي يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية (1975).

في وحدة بحوث الاتصال التابعة لمعهد التدريب. انجزنا دراسات مهمة في تحليل المضمون، منها –كما اذكر– تحـليل مضمون الأخبـار في إذاعات لندن وصوت أمريكا وإسرائيل. واذكر إننا حين كنا نتابع ونحلل أخبار الانتخابات الإسرائيلية كانت كل التوقعات في الصحف العراقية على الأقل تؤكد فوز حزب العمل لكننا تنبأنا بـفوز الليكود. كانت تلك الفترة غنية بالتجارب. وشملت إلى جانب بحوث تحليل المضمون دراسـات بـارومتريه.

ان المضمون الواسـع، المتعدد الاوجه، يقتضي نوعاً من التجزئة أي ان نطرح اسـئلة حـول هذا الجانب منه، ونهمل اخـرى، دون ان نهمل العلاقات الوظيفية بين كل الجوانب.

وقياس اتجاهات، فضلاًعن الحلقات النقاشية وبرامج التدريب. واليوم إذ أقدم للقارئ هذه الدراسة عن تحليل المضمون وإذ استذكر ما أشرت إليه، أجد إنني مازلت أتعلم. راجياً أن تكون هذه الصفحات مفيدة. كما أرجو أن تجد هذه الطريقة مكانها المناسب في النشاطات العلمية لقسم الاجتماع وغيره من الأقسام المعنية بالإنسان والمجتمع.

2- تحديد مشكلة البحث:

في البدء قد يكون من المفيد الاشارة الى ان تحليل المضمون يمكن ان يصبح ممارسة يومية يقوم بها محللون محترفون يتابعون مادة أعلامية صادرة عن اذاعة، او صحفية، او موقع على الانترنيت وغيرها. وهؤلاء -ايضا- ينطلقون من فكرة ان هناك (مشكلة). اما الباحث، او طالب الدكتوراه -مثلا- فهو يقوم بتحليل مادة يعتقد ان هناك نقصا في الادبيات المتاحة حولها. انه ينطلق ايضا من (مشكلة). ان فعل البحث يبدأ من نقطة الشعور بالمشكل. فالبحث هو القلق وهو التوتر او قل هو الاشكالية كما جرى التقليد العلمي على تسميتها. وليس كل ما يتواجد في الوضع يثير القلق وليس كل ما يثير القلق يحتاج بالضرورة الى البحث. مايثير القلق اذا هو محاولة التوقف في لحظة من سريان الوعي والحياة(35).

ان العلم كابتكار فكري من نوع خاص يقدم نتائج ويضع حلولا لمشكلات لكن طبيعة المشكلة والطريقة التي تقترح تحدد نوع الحل المحتمل. ان اختيار (مشكلة) هو جزء اساسي من عملية الاستقصاء او البحث الاجتماعي غير ان من المفيد التمييز بين انواع من المواقف الاشكالية لان نتائجها مختلفة. فالباحث كفاعل موجود ضمن وضع Setting معين وان كلا من الفاعل والوضع عنصران ضروريان لتحديد الموقف المشكل. الوضع هو مجموعة جوانب او عناصر تحظى باهتمام الفاعل (الباحث) وهي ليست معروفة تماما. ومن المهم القول ان بعض تلك العناصر تحظى باهتمام هذا الباحث ولا تحظى باهتمام ذاك. كما ان بعض الجوانب يفترض ان تكون معروفة(36). ان اهتمام الباحث بدراسة مشكلة معينة لا ياتي اعتباطا وخصوصا في هذا الوقت الذي اصبح فيه لعملية البحث معاني اقتصادية وسياسية. فالباحث قد يكلف من قبل جهة ما بدراسة مشكلة معينة ومن ثم لم يكن هو من اختار المشكلة. كما انه قد يكون مدفوعا بدوافع مصلحية اقتصادية، او باهتمامات علمية صرفة. وفي كل الاحوال فان القلق الذي اشرنا اليه فيما تقدم لايتواجد بدون ان يكون مرتبطا بموضوع معين، وان يكون هذا الموضوع نفسه مرتبطا هو الاخر بالبنى المعرفية والمنهجية التي يتأسس عليها البحث. ان الاشكالية هي نقطة الانطلاق وليست مقصداً بذاته(37). وكل المؤلفات التي تعني بمناهج البحث وتقنياته تؤكد حقيقة ان مشكلة البحث هي المرحلة المهمة التي تبدأ منها أولى خطوات التحليل.

في العلوم الاجتماعية والاعلامية وما يتصل بهما نتجنب طرح اسئلة تبدأ بـ(لماذا). وحين تراجع مقولة لاسويل الشهيرة تجد انها تطرح اسئلة تتعلق بالاشكال والمضامين، وادوات او قنوات الارسال، فضلا عن المتلقين. لكن ذلك لايعني اننا نقف عند حدود تلك الاسئلة، بل نستطيع ان نضيف اسئلة مثل لماذا او الهدف من الخطاب، ومتى وجه الخطاب، الى غير ذلك. ولابد من التاكيد ان تحليل المضمون هو طريقة بحث متعددة الاغراض تستهدف التقصي عن مدى واسع من المشكلات.

ان تحديد المشكلة ضروري لان الباحث -المحلل- لايمتلك دائما كل الوقت، ولا تتاح له دائما كل الامكانات المادية والفنية والبشرية، فضلا عن ان المضمون الواسع، المتعدد الاوجه، يقتضي نوعاً من التجزئة أي ان نطرح اسئلة حول هذا الجانب منه، ونهمل اخرى، دون ان نهمل العلاقات الوظيفية بين كل الجوانب.

من الامثلة التي يمكن ايرادها عن صياغة المشكلة. تلك التي وردت في دراسة الدكتورة عفاف احمد عويس لعينة من الاطفال المصريين فقد طرح بحثها سؤالين رئيسين:

اولهما: ما الذي استقر في وجدان الاطفال ووعيهم في طفولتهم المبكرة عن اختلال ميزان القوة في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي.

وثانيهما: ما هي الدفاعات الشعورية الواعية التي يقدمها الطفل بطريقة غير مباشرة عن التهديد الذي تتعرض له احتياجاته النفسية الاساسية، وعن الضغوط البيئية...الخ(38).

وفي دراستها عن القيم في برامج الاطفال تطرح الدكتورة مها الكردي اسئلة عدة منها:

- ما دور الاعلام المرئي الموجه للطفل ووظائفه.

– ما مدى اهتمام برامج الاطفال التلفزيونية المحلية بمجتمع الصعيد كميا من حيث المساحة الزمنية المخصصة لارسال هذه البرامج والفترات الزمنية ودورية العرض.

– ما الاشكال والقوالب الفنية التي تعرض من خلالها الرسالة الاعلامية.

– ما القيم الاساسية التي تتضمنها الرسالة الاعلامية(39).

ولعل من المفيد ان نشير هنا الى ان بعض الباحثين لا يضع تلك التساؤلات تحت عنوان (مشكلة البحث) بل قد يضعها تحت عنوان آخر مثل: تساؤلات الدراسة. او اهداف الدراسة. غير ان من المفيد ان نطرح الاسئلة تحت عنوان (مشكلة البحث او مشكلة الدراسة). ثم تحدد الاهداف، مشتقة من التساؤلات تحت عنوان مستقل(40).

ان مصادر (مشكلة البحث) متعددة ولعل في مقدمتها ان الباحث، هو يواجه ظاهرة او مشكلة معينة يجد ان ما هو متاح من البيانات منها لا يكفي لا يضاح كل جوانبها وعناصرها. او ان ما هو متاح لا يرتقي الى مستوى يوفر للباحث درجة من الطمأنينة، بقدر ما يثير شكوكه، او يدفعه الى افتراض تفسيرات اخرى. هذا الى جانب قراءات الباحث، واطلاعه على الادبيات السابقة، وشعوره بان ظاهرة ما هي من الخطورة بمكان وان دراستها سوف توفر نتائج نظرية او تطبيقية مفيدة(41).

ولعل من البديهي القول ان صياغة مشكلة البحث ينبغي ان تحظى بعناية كبيرة من الباحث اذ ان وضوح التساؤلات او غموضها يعكس تأثيراً متواصلا على كل مراحل البحث التالية. فضلا عن ملاحظة ان التساؤل قد يتناول متغيرا واحدا. كأن يسال الباحث (ماهي الالفاظ. او الصور الاكثر تكرارا في قصص الاطفال). وقد يتناول التساؤل متغيرين مثل (ما اثر التعرض لبرامج العنف على قصص الاطفال).

3– تحديد اهداف البحث:

البحث العلمي في أي حقل كان، هو جهد مقصود للوصول الى اغراض معينة. ومن ثم فأن على الباحث ان يحدد في مرحلة مبكرة من بحثه ماهية الاهداف التي يتوخى تحقيقها ولاشك ان هذه الاهداف لاتنفصل عن مشكلة البحث. أي عن التساؤلات التي سبق له ان طرحها على نفسه. ويمكن، تيسيرا لجهد الباحث ان يقسم تلك الاهداف الى نوعين:

أ– اولهما الاهداف التطبيقية او العملية: فعلى سبيل المثال قد يسعى المحلل الذي تتعرض بلاده لحرب او دعاية معادية ان يركز من خلال تحليله لاذاعة العدو على هدف الوصول الى دعاية مضادة، او فضح دعاية العدو وخفض تاثيرها. ان دراسة علماء الدول الحليفة في الحرب العالمية الثانية (مثل لازر سفيلد ولاسويل) لدعاية دول المحور اسهمت بدون شك معرفة ابعاد ومضامين تلك الدعاية، ووضع الدعاية المضادة لها. فقد ارست تلك الدراسات اربعة اهداف اساسية هي: اثارة الكراهية ضد العدو/الابقاء على صداقة الدول الحليفة وعلاقتها الوطيدة/ الابقاء على حياد المحايدين وضمان تعاونهم كلما كان ذلك ممكنا/اضعاف الروح المعنوية للعدو. وفي هذا الصدد تم تقويم الدعاية الانكليزية وتبين انها نجحت في اقامة (اهداف انسانية) للحرب بينما اثار الالمان الكثير من الاستياء والشك. كذلك قد يستهدف البحث من خلال تحليل رسوم الاطفال. او قصصهم . في فترات الحروب او الكوارث. وضع برامج نفسية واجتماعية لاعانتهم على تجاوز صدمات الحروب.

ب– الاهداف العلمية: وتتلخص في رغبة الباحث بتطوير اساليب ومناهج جديدة في التحليل والبحث ان من الصعب على الباحث ان يضع خطا فاصلا بين المشكلات التي تعتبر من اختصاص الحقل العلمي، او من اختصاص الحقل التطبيقي. غير ان على الباحث ان يحدد اهدافه بوضوح شديد. ففي سبيل المثال استهدفت دراسة راجية قنديل لصحيفة جروزاليم بوست(42) الاسرائيلية معرفة صورة اسرئيل كما عملت الصحيفة على رسم ملامحها وتقديمها للعالم وتفسير الصحيفة لاستخدام اسرائيل اسلوب او سياسة الردع وتفسير الصحيفة لاحداث معينه مثل اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات. ان صياغة الاهداف قد تاخذ صيغة هدف رئيسي او اكثر. مع اهداف فرعية تشتق منه.

4– تحديد المفاهيم وتعريفها:

اشرنا في الصفحات السابقة، في سياق تعريفنا لتحليل المضمون، الى ان المفاهيم في علوم الانسان والمجتمع عموما تتميز بالتعقيد والتداخل. فنحن غالبا ما نستخدم الفاظ ومصطلحات الحياة اليومية ذاتها لكننا نعمل على تحديدها وايجاد مؤشرات معينة تمكن من الاحاطة بها. ان للمفاهيم دورها في تبسيط التفكير وفي بلورة نظرة الباحث الى الظاهرة التي يقوم بدراستها. ان

الخبرة البسيطة تظهر ان هناك فروقا ما بين مفهومي العنف والعدوان، وبينهما وبين الاساءة*. لكن هذه الخبرة لا تكفي لتمييز كل منها عن الآخر. ومن ثم لابد من ان يبذل الباحث ما يكفي من الجهد حتى يوجد لكل منها تعريفا قابلا للإيصال إلى القارئ. ان كثيرا من الطلبة اذ يعرف مفاهيم مثل (العلاقات العامة) و (الصورة النمطية) أو (الاسرة المعيشية) أو (الفقر) يبقى في حدود التجريد الغامض. ان احد الدراسات المهمة التي يمكن(43) استعادة جهود باحثيها باتجاه وضع تعاريف دقيقة للمفاهيم هي الدراسة الاستطلاعية للسيد يسن فعلى سبيل المثال تم تعريف الفكرة القومية بانها احساس وجداني بالانتماء الى العروبة والرغبة في تحقيق الوحدة السياسية وتأكيد القومية العربية. ان هذا التعريف، يتضمن مفاهيم اخرى معقدة مثل الاحساس الوجداني، والوحدة، والانتماء والعروبة.

ولعل من المفيد ان نشير الى ان التعاريف النظرية ليست خاطئة دائما. خصوصا حين يكون الباحث اطارا مرجعيا واضح المعالم. وبالمقابل فان بعض التعاريف التي اريد لها ان تكون اجرائية Operational لا تحقق شروط الاجرائية. من ذلك في سبيل المثال تعريف الدكتور عادل عبد الغفار خليل لمفهوم (المناخ السياسي) اذ يعرفه بانه (حرية التعبير) التي يسمح بها للافراد في التعبير عن ارائهم واتجاهاتهم ازاء القضايا المختلفة المثاره في اوساط الرأي العام أو تعريفه للصورة النمطية بالقول يقصد بالصورة النمطية القومية للغير Stereotype National سمات شائعة وثابتة يتبناها الشعب عن شعب آخر وغالبا ما تكون سلبية(44) لكن الدكتور خليل اورد نموذجا جيدا للتعريف الاجرائي حين قال ان التطبيع الاقتصادي هو (التعاون الزراعي والتجاري والنقل والاتصالات والطاقة والسياحة)(45). ان هذه الحقول او المجالات يمكن قياس ماتحقق فيها –بوصفه تطبيعا– من خلال مراجعة الاحصاءات والتقارير الخاصة بالتبادل (التجاري مثلا) بمعنى ان القياس فيها ممكن.

ان بعض المفاهيم تبدو عصية على التعريف. وفي حالة وصول الباحث الى تعريف نظري لها سيجد ان هناك مصالح. ومرجعيات او تجارب ،ترفض ذلك التعريف(46). ولذلك فأن الباحث قد يضطر –بل انه غالبا ما يلجأ– الى استخدام التعاريف الاجرائية لمفاهيم بحثه(47) ونظرا لما لمسناه من غموض لدى طلبة الدراسات العليا/ازاء هذا المصطلح، وعدم الدقة في استخدامه، فقد وجدنا ان من المفيد ان نوضح جوانبه.

في القرآن الكريم مثال واضح للتعريف الاجرائي. ففي سورة البقرة امر الله سبحانه اليهود على لسان موسى (عليه السلام) ان يذبحوا بقرة. والبقرة مفهوم مجرد رغم كونه بسيطا. لانه ينطبق على كل بقرة في العالم اياً كانت مواصفاتها. وحين تساءل اليهود عن البقرة، قدم لهم موسى (عليه السلام) توصيفا اجرائيا لها فقال: (انها بقرة صفراء لا فارض ولاذلول ولابكر عوان) ثم اضاف (انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) ثم انها (بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها)(48) وبذلك تحول المفهوم المجرد الى مفهوم محدد قابل للاختبار والقياس.

ان على الباحث ان يأخذ في اعتباره مسألتين اساسيتين في هذا الصدد:

1– الجوانب التي سيقوم بدراستها.

2– كيف سينمي مفاهيم خاصة بهذه الجوانب.

فعلى سبيل المثال حين يبحث المرء في الخطاب اللبناني الرسمي حول قضية اغتيال رئيس الوزراء المرحوم الحريري، او حول سلاح المقاومة، او العلاقة مع سوريا فان عليه ان يبقى في حدود الموضوع الذي يدرسه لا ان يتجاوزه الى موضوعات اخرى. اي ان يركز على الخطاب اللبناني الرسمي ويعرفه اجرائيا بانه (طبقا للدراسة) البيانات التي صدرت عن رئاسة الجمهورية أو عن مجلس الوزراء، والتعلقيات التي أذيعت عبر الاذاعة الرسمية). دون اشارة لبيانات صدرت عن هذه الجهة او تلك كذلك حين يستخدم الباحث مفهوم سلاح المقاومة فان عليه ان يحدد ماهية ذلك السلاح ومن هي المقاومة المقصودة حتى لا تتداخل المفاهيم. وهو قد يرفض استخدام مفهوم الجريمة السياسية.ويستخدم بدلا من ذلك مفهوم العنف، او الاغتيال، او الارهاب انطلاقا من رؤية للموضوع.

ان النقطة الاولى المشار اليها تتصل بالفروض وبالمرجعية النظرية للباحث. اما النقطة الثانية فتتصل بعملية تكوين المفاهيم (Conceptualization) ان معيار الوضوح (Claity) يعبر عن مدى احاطة المفهوم بالظواهر الملموسة وامكانية استخدامه كأداة لتوصيل افكار معينة. فنحن نفكر من خلال المفاهيم فاذا لم تكن معانيها متقاربة –على الاقل– بين المرسل

والمستقبل فانها تفقد قيمتها ان لم تكن سببا في سوء الفهم. لقد نشأت (الاجرائية) من الصعوبات التي واجهتها الفيزياء من اجل نشر مفاهيم معرفية بمستوى معين.ويرجع الفضل في تأسيس (الاجرائية) الى عالم الفيزياء برسي بريد غمان في كتابه (The logico of Modern Physics) عام 1927. وقد نقل علماء الاجتماع الاكثر ذرائعية هذه القواعد الى علمهم مما اثار نقاشات حامية. كتب برد غمان يقول: نحن لا نعني بالمفهوم –عامة– سوى جملة من العمليات وان دلالة فرضية ماهي قابلية التحقق منها. لقد دافع علماء مثل (لندبرج، وسيتوارت دود، ولازرسفيلد) وغيرهم من هذا الاتجاه دفاعا مستميتاً. يقول لندبرج ان الطريقة الوحيدة لتعريف شئ ما موضوعيا هي تعريفه من خلال العمليات التي يتطلبها. لكن المبالغة في استخدام الطريقة الاجرائية أدت الى ردود فعل سلبية ايضا حتى ان بردغمان علق على ذلك بالقول: اننا خلقنا فرانكشتاين، بعيدا عما كان هو نفسه يفكر فيه. فالاتجاه الاجرائي لا يأخذ بعين الاعتبار ان المفهوم عام وسابق على كل عملية قياس. فاذا اخذنا المثال البسيط لقياس الطول فان عملية القياس لاتوفر لنا الا قياس شئ ما. اذ ان مفهوم الطول سبق عملية القياس. واذا كان الذكاء هو ما يقيسه اختبار الذكاء (وهو مثال نموذجي للتعريف الاجرائي) فاننا نحصل على حقيقة لنماذج من الذكاء تبعا للاختبارات لاعلى مفهوم عام للذكاء(49). ان منتقدي هذا الاتجاه يرون اننا لانقصد بالمفهوم تلك العمليات. فهذه لاتزيد عن كونها وسائل فنية نستخدمها للوصول الى تحديد شيء يكمن خلفها هو الظاهرة نفسها(50) يقول هامبل: يميل الادب المنهجي المكرس للعلوم الاجتماعية عندما نفضل التعريفات الاجرائية على حساب المتطلبات النظرية الى الايحاء بان علم الاجتماع لا يملك من اعداد مستقبله بصفته اختصاصا علميا الا ان يكون لنفسه رصيدا من المصطلحات المعرفة اجرائيا على اكبر قدر من المستطاع ومن الاستعمال الثابت والموحد كما لو كان تشكيل المفاهيم العملية ممكن الفصل عن التكوين النظري(51).

ومع كل تلك الانتقادات فان التعريف الاجرائي مطلوب للتعامل مع مفاهيم مركبة ومعقدة تثير الجدل والخلاف. وفي اعتقادنا ان من غير المعقول ان نرفض كليا الاتجاه الاحصائي والعمليات في بحوث الاعلام وان نكتفي بالتأمل النظري. بحجج مثل (التعمق) و (الفهم). ان من المهم جدا الالمام بمظاهر مختلفة لمفهوم يشكل موضوعا للدراسة ولابد في سبيل ذلك من بحث كيفية التعبير عنه ووصفه وتحديده ماديا. وفي لغة علم الاجتماع ترجع المشكلة الى تمييز عدد من الابعاد النوعية للمفهوم الاصلي والى ايجاد ادلة لكل بعد(52).

ان اسهل الطرق لتعريف كلمة او لفظة ما هي ان نستخدم مثالا معينا للاشارة اليها او استخدام صورة أو أكثر لتوضيح ما نقصده بها. فإذا كنا بصدد تعليم طفل ما تعنيه كلمة (كتاب) فإننا نشير الى كتاب أو مجموعة كتب ويعتمد توصيل المعنى على وضوح الصور التي نعرضها. إن هذه الطريقة البسيطة لا تناسب العلم. إذ لا نستطيع أن نأتي بصورة لتعريف الأخلاق مثلا. وبالمقابل عمد الفيزياويون إلى استخدام الأسلوب العملي لتجاوز ما يسمى بالطبيعة النهائية للأشياء أو الظواهر لأن الحديث عنها يخرج عن حدود العلم ولذا فأن عالم الفيزياء يعرف مصطلحات مثل الزمن والحرارة عن طريق الإجراءات أو العمليات التي يقوم بها لقياس تلك الظواهر ولذلك تميز الاتجاه العلمي بالثبات. يقول لندبرج إن الوصفة الخاصة بصناعة نوع معين من الخبز هي التعريف العلمي لذلك النوع ولذلك فان كل من يستخدم تلكم الوصفة ينبغي أن يصل إلى نفس النتائج مع ملاحظة أن هذه الوصفة لا تزيد على كونها مجموعة من الكلمات التي يمكن تضمينها في أي تعريف. ولذلك فأن التعريف العلمي في هذه الحالة يجب أن يشير إلى الإنجاز الفعلي لذلك النوع من الخبز وهذا يتطلب معرفة كافية وتحديداً دقيقا للمواد الداخلة في صناعته(53)

لقد حدد لازرسفيلد أربع خطوات يمكن للباحث اللجوء إليها عند التعامل مع مفهوم معين يسعى إلى دراسته وتحديده:

أ– أن يكون الباحث تصوراً أولياً عن المفهوم. وهذه الخطوة بمثابة حدس أولي أو محاولة مبدئية للأحاطة بالمفهوم.

ب– تفكيك المفهوم واكتشاف العناصر المكونة له ومظاهره المتعددة. ويمكن جمع هذه العناصر تحت عنوان (الأبعاد). والبعد يتضمن عناصر كمية ونوعية.

ج– اختيار أدلة قابلة للملاحظة. فالباحث في مفهوم الجمال مثلا لابد إن يختار أدلة أو مؤشرات معينة مثل الطول واللون والعمر والصحة وقياسات الجسد وغيرها.

د– توحيد الأدلة في دليل واحد مشترك(54) يؤدي بالباحث إلى فهم واضح للمفهوم الذي يدرسه مميزاً عن المفاهيم الأخرى المقاربة أو المتداخلة معه.

إن الانتقادات التي توجه إلى الطريقة الإجرائية عديدة كما أسلفنا لكن الباحث يجد نفسه في كثير من الأحيان مضطرا لأتباعها نظراً لتداخل المفاهيم وشدة تعقيدها وتجريدها. ان الباحث قد يواجه عمليات متعددة لمعالجة مفهوم واحد. فعلى سبيل المثال إن مفهوماً مثل (الصورة النمطية للإعلام التركي إزاء العرب) يتطلب تعريفا إجرائيا لمفهوم (الصورة النمطية) وهي مؤلفة من عناصر سلبية وايجابية تكون بمجموعها توصيفات للعرب. أما الإعلام التركي، فهو مثلا (صحف الأحزاب اليمينية التركية التي صدرت للفترة من كذا إلى كذا/أو المقالات الافتتاحية فيها).

5- الإطار النظري وفرضيات التحليل:

يقال إن النظرية هي أعلى مراحل العلم رغم أنها كما يقول أيان كريب تثير الهلع في نفوس الناس. فالكثير من النظريات الاجتماعية والإعلامية عصية على الفهم أو مبتذلة لا معنى لها. ويضيف إن الخطوات الأولى/باتجاه تسهيل فهم النظرية هي إعادة النظر بالطريقة التي نتناول(55) بها الموضوع بمعنى إن فهم النظرية هو مسألة تتعلق بتعلم التفكير النظري أكثر منها بتعلم النظريات. إن كثيرا من النظريات التي نتناولها، أما قديمة، أو نضفي عليها بعض القداسة لأنها باسم هذا العالم أو ذاك وبالتالي نتناولها دون حس نقدي، وتزداد المشكلة تعقيدا بسبب إن علوم الإنسان والمجتمع لا يمكن إلا أن تكون إيديولوجية. وهو ما يسميه أيان كريب البعد المعياري للنظرية. فأي نظرية تقوم بوصف الواقع لابد أن تطرح في ثناياها تصريحا أو تلميحا افتراضات عما يجب أن يكون عليه شكل ذلك الواقع. وقد سمى كولدنر هذه الافترضات باسم:(افتراضات المجال) (Domain Assumptions)56 تعرف النظرية، طبقا لتيما شيف بأنها مجموعة من القضايا التي تتوافر فيها عدة شروط أولها: ينبغي أن تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا محددة بدقة. وثانيها إن القضايا ينبغي أن تتسق مع بعضها. وثالثها: أن توضع بشكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا ورابعها: أن تكون تلك القضايا خصيبة ومثمرة تستكشف الطريق لملاحظات ابعد مدى تنمي مجال المعرفة(57).

إن من المهم أن أشير ابتداءاً إلى إن النظريات فيما يسمى (علم الأعلام)* لا تنفصل. لا من الوجهة التاريخية. ولا من الوجهة الحالية عن نظريات علم الاجتماع وأسباب ذلك عديدة. منها إن التقنية هي ميدان نضال الأفراد والجماعات للتأثير الفاعل في تغيير التصميم التقني والأستخدامي والمعاني المقننة للتقنية(58). ومنها إن عملية الاتصال ذاتها هي (اجتماعية) لكن هناك مرجعيات متعددة لتفسيرها. إن الاتصال ونظرياته (كعلم وليس كممارسة) ليس فيه الكثير من التراث على اعتبار انه ارتبط تاريخيا بظاهرة تقنية كاكتشاف الإذاعة والفلم وقد عانى هذا العلم (ضعفا) نظريا(59).

ويشير فان دايك احد أساتذة سوسيولوجيا الإعلام إلى إن العديد من مؤسسي علوم الإعلام والاتصال مثل: لاسويل (صاحب كتاب الدعاية في زمن الحرب) وبارك (صاحب كتاب التاريخ الاجتماعي للصحيفة) وبرلسون (الذي ساهم في تطوير أسلوب تحليل المضمون) انتموا أصلا إلى منظور سوسيولوجية الأعلام. ويذهب برلسون إلى إن سوسيولوجية الإعلام هي (ارض الاختصاص) وان الكثير من هؤلاء المؤسسين والمحدثين قد تأثروا بطريقة أو بأخرى بالمدرسة الوظيفية للازرسفيلد وميرتون أو بالمدرسة النقدية (شيللر وادورنو وغيرهما(60) . كما أشرنا إن مراجعة لتاريخ نظريات الاتصال تظهر إنها في جذورها، وتطورها اللاحق هي نظريات اجتماعية –نفسية. فعلى سبيل المثال إن فرضية وسائل الإعلام التي تعمل عمل (الإبر المخدرة) باصطلاح لاسويل للإشارة إلى التأثيرات المباشرة والجماعية لوسائل الإعلام على الجمهور المشتت. هذه الفرضية المحورية تناغمت مع النظرية النفسية الرائجة آنذاك: علم نفس الحشود (لجوستاف لوبون). والتوجه السلوكي الذي ظهر على يد جون واتسون. ونظريات بافلوف وماكدوجل(61) إن لاسويل الذي كتب فيما بعد (علم النفس المرضي والسياسة (1920) و (السياسة العالمية وفقدان الأمن الشخصي (1935)). هو الذي أطلق العبارة الشهيرة (من/قال ماذا /بأية قناة /لمن /وبأي تأثير. وقد تم من الناحية العلمية إعطاء أفضلية لبعدين في هذا البرنامج هما دراسة التأثيرات وتحليل المضمون(62).

لقد راجعت العديد من أطاريح الماجستير أو الدكتوراه في مجالات الأعلام المختلفة وتأكد لي إن التحليل فيها كان يعبر عن نظرة مجتزأة مستمدة من (برلسون) الذي ركز على إن تحليل المضمون هو الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمضمون الظاهر للاتصال. والواقع إن معظم تعريفات هذا المنهج انصرفت الى (آلية التحليل) بما في ذلك تحديد وحدات التحليل وحساب التكرارات والشدة وغيرها دون اهتمام واضح بتكوين إطار نظري للتحليل. وكان بيتر آج .روس قد أشار إلى إن تحليل المحتويات لمجموعة من المواد يتألف بشكل أساسي من تصنيف وحدات صغيرة من الوثائق (كلمات او جمل أو موضوعات وفقا لمجموعة

أصناف مستنتجة أو سابقة(63). إن الأرقام لا تحسن التحدث عن نفسها بل المهم إن تفسر طبقا لمرجعية نظرية. ولعل الأحتفال بالرقم لذاته والتقليل من قيمة النظرية غير مقتصر على باحثينا، وكان سي. رايت. ميلز قد انتقد بشدة اراء لازرسفيلد الذى ركز على الجوانب الكمية والتجريبية واهمل الجوانب النظرية(64)، ولعل ذلك هو الذى افشل مشروع التعاون بين ادورنو (وهو احد رموز المدرسة النقدية –مدرسة فرانكفورت–) وبين لازرسفيلد فى بحث التأثيرات الثقافية للبرامج الغنائية الأذاعية، وكان لازرسفيلد يأمل فى خلق تكامل بين النظرية الأوربية والأتجاهات الأمبريقية الأمريكية الا ان المشروع فشل بعد أن ظهر أن التعارض بين الذهنيتين لا يمكن تجاوزه(65). أن من المهم أن نشير هنا الى ان محلل المضمون قد لايلتزم بنظرية واحدة بل قد يعمد الى اجراء موائمة بين قضايا نظريتين او أكثر ليكون اطاراً عاماً للتحليل. فعلى سبيل المثال يمكن دمج بعض قضايا نظرية بورديار واهمها ان وسائل الأعلام هى مستجيبات للأيديولوجيا اي انها ليست ثورية فى ذاتها بل ابعد من ذلك هى ليست محايدة او غير مؤدلجة، وبين قضايا مستمدة من ستيوارت هال (كتابه: التشفير وفك التشفير) حيث حلل ثلاثة اصناف من الجمهور المتلقى(66). فلو افترضنا ، كمثال بسيط ، ان محللاً اراد ان يحلل المقالات الأفتتاحية لصحيفة يديعوت احرونوت الأسرائيلية حول مشروع استيطانى فى القدس المحتلة ويحلل فى الوقت نفسه تعليقات القراء الأسرائيليين على تلك المقالات فانه يستطيع ان يوظف القضايا المشار اليها كما يأتي :

– ان وسائل الأتصال الأسرائيلية تمارس نشاطها فى اطار ايديولوجيا الأستيطان.

– ان مضامين المقالات الأفتتاحية للصحيفة المذكورة تعكس المبررات العامة لأيديولوجيا الأستيطان.

– ان تعليقات القراء الأسرائيليين على تلك المقالات تظهر نموذج المتلقى المعبر عن الذوق العام الغالب على النظام الأجتماعى والفضاء المهنى.

– ان الأيدبولوجيا الأستيطانية هى المرجعية التأويلية لهذا النموذج من الجمهور.

ان المثال المذكور لابد ان ينبهنا الى مسألة مهمة هى ان محلل المضمون انسان وانه مهما حاول ان يكون موضوعياً فانه سيظل متأثرا بأتجاهات وافكار مسبقة شعورية او لاشعورية وان ادراكه لذلك امر مهم فيحرص على تحليل خطاب الآخر باقصى قدر من الموضوعية. يمكن ان نورد هنا مثالا آخر نفترض ان قضاياه مستمدة من اطر نظرية سبق اختبارها ويتلخص فى بحث مجموعة من الخطابات والرسائل الأعلامية حول موضوع الكوتا النسائية ومبادىء اتفاقية منع التمييز ضد المرأة (سيداو) ثم تحليل اتجاهات عينة من المبحوثين الذكور قبل وبعد بث تلك الخطابات انطلاقا من ذلك الاطار النظرى الأفتراضى الذى تتمثل اهم قضاياه فيما يلى:

– ان الثقافة السائدة هى مصدر رؤية واتجاهات الرجال العراقيين ازاء مسألة الكوتا النسائية.

– ان اهم منظومات القيم التقليدية قد استدخلت من خلال التنشئة الأسريه وليس من خلال التعليم الرسمى.

– ان الخطابات التى وجهت للعينة لم تكن ذات تأثير رغم اختلاف المستويات التعليمية لمفردات العينة*.

في ضوء تلك القضايا يستطيع الباحث ان يحدد اجراءاته المنهجية وان يصوغ فروضه. والفرض hypothesis طبقا لتعريف ارسطو هو نقطة البدء فى اقامة برهان (اذا) كانت (أ) صادقة فتكون (ب) لازمة كنتيجة. فإذا أثبتنا أن (أ) كذلك لزم عنها (ب). وفي المنهج التجريبي الغرض: هو نقطة البداية اللازمة لكل أستدلال تجريبي وبغير هذا يعجز المرء عن ان يقوم بأي بحث. (راجع: د. مراد وهبة– المعجم الفلسفي– دار الثقافة الجديدة –1979– ص304). وقد يعرف الغرض بأنه: تعميم مبدئي تظل صحته وصلاحيته موضع أختبار ويحاول الباحث أن يتحقق من صدقه ليتخذه سبيلاً إلى فهم الظواهر وتفسيرها.

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى حقيقة أن الباحث ليس مضطراً لصياغة فروض. كما أن صيغ الفروض ليست متماثلة من بحث لأخر. ففي حالات معينة يجد الباحث أنه يواجه مشكلة لا تتوفر عنها أية بيانات، ومن ثم فهو يضطر للبحث عن بيانات أولية تمكنه من التقدم خطوة بأتجاه صياغة فروض، يمكن التحقق منها في أطار دراسة وصفية مثلاً. والواقع أن على الباحث أن يحدد موقع بحثه من حيث مستواه النوعي أي بوصفه أستكشافياً أو أستطلاعياً أو وصفياً.

في البحث الأستكشافي يبذل الباحث جهداً من أجل أن يحقق ألفة كافية مع موضوع بحثه. ويجمع بيانات ذات درجة من التنوع تمكنه من توفير فرصة أفضل لصياغة فرض أو أكثر حول الموضوع في مرحلة بحثية تالية. اما الفروض ذات المضمون

العلي أو السببي فتمثل مستوى أعلى من الناحية المنهجية، تقول (مادلين غراويتز): أن الفرضية أقتراح جواب عن سؤال مطروح. وهي تهدف إلى صياغة علاقة بين واقعات ذات دلالة وهي، وأن كانت متفاوتة الدقة تساعد على أنتقاء الوقائع التي تخضع للملاحظة وعندما تتجمع هذه الواقعات تتيح الفرضية تفسيرها وأعطاءها دلالة تجعلها، باعتباره متحققاً منها عنصراً ممكناً في نظرية(67) فالباحث قد يطرح سؤالاً (ضمن مشكلة البحث) مثل: ما هو مضمون المقالات الأفتتاحية في الصحف المصرية آزاء الموضوع الفلاني ؟ وبناءً على مراجعاته، أو دراسته الأستطلاعية، سيقوم بصياغة فرضية مثل: تتباين مضامين الجرائد المصرية بحسب عائديتها (رسمية/ غير رسمية).

أن الفروض تشتق منطقياً من نظرية تبرر أعتبار تلك الفروض صحيحة، ذلك لأن النظرية قامت على جملة من الملاحظات للوقائع، ففي سبيل المثال:

أن نظرية ما تفترض بأن الخطاب الأسرائيلي يتهم كل من ينتقد مواقف أسرائيل بأنه معاد للسامية (أ) وأن منتقدي المواقف الأسرائيلية يتجنبون الأشارة إلى قضايا عرقية أو دينية (ب) وأن تركيز المنتقدين ينصب على المواقف السياسية (جـ).

بناءاً على ذلك يمكن للباحث أن يشتق فرضاً مفاده: أن توفر أ/ب/جـ يمكن أن تؤدي إلى (د) وهو: أن الجرائد في البلد الفلاني تظهر درجة من الأهتمام بمواقف أسرائيل من قضية الجولان أعلى من أهتمامها بمواقف أسرائيل من قضية القدس(68) . ومن المهم أن نلاحظ أن الفرض قد لا يصدق كلياً، وقد يصدق جزئياً. وحين تكون نتيجة البحث (التحليل) مصدقة او معززة للفرض فأن الباحث سيعزز ثقته بالنظرية التي أستمد الفرض منها، ومن ثم سيخطو خطوة أخرى بأتجاه التعميم. ويصل من ثم إلى (قانون) أو إلى (أحتمال) بأن الأهتمام بموضوعي الجولان والقدس متقارب أو قد يكتشف (أتجاهاً) نحو تعزيز أحدهما(69).

أن المحلل، قد يصوغ الفرض، ويفترض في الوقت نفسه نقيضه، وهو ما يسمى بفرضية البحث، والفرضية الصفرية أو فرضية العدم (Nullhypothesis). وفي كل الأحوال فأن للفروض أهمية كبرى. وقد لاحظت من خلال مراجعاتي للعديد من الأطاريح، ان مرشحي الدراسات العليا غالباً ما يهملون الأشارة إلى أية فروض، وهم أن فعلوا ذلك، عرضوها على نحو غير دقيق، فهم قد يثقلون الفرض، بمفاهيم غامضة، وقضايا لا أساس لها من ملاحظة دقيقة، أو من نتائج بحث سابقة تحظى بدرجة من الصدقية. كذلك فأن بعضهم يورد عدداً من الفروض لا تستوعبه أطروحة، ويفتقر إلى علاقات واضحة، أن عدم وضوح المفاهيم والقضايا التي ألزم الباحث نفسه بأختبارها سوف يثير شكوكاً حول ما إذا كانت دراسة الباحث تلبي معايير الحد الأدنى للعلم(70). من جانب آخر فأن من المثالب المهمة على أية دراسة أو أطروحة أن لا يذكر الباحث مصادر فروضه. أن الباحث ليس حراً في أن يفترض كما يشاء أنطلاقاً من قوالب نمطية سائدة، أو من أجتهاد ولا يستند إلى ملاحظات مقنعة أو نتائج سابقة موثقة. صحيح أن للحدس (العلمي) وللخيال (العلمي) أهميتهما ألا أن تعزيزهما بمصادر أخرى أمر ضروري لتأكيد القيمة العلمية للفرض. مع ملاحظة أن خيال الباحث العلمي لا يتطابق مع خيال الشاعر أو الفنان التشكيلي. أن مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة يعد مرحلة مهمة من مراحل التحليل. إذ من خلال تلك المراجعة يتعرف المحلل على موقعه من الأدبيات المتاحة ويوفر لنفسه فرصاً أفضل لتحديد أطار نظري واضح ومتسق منطقياً يمكن ان يستمد منه فروضاً محددة وواضحة.

أختيار المنهج الملائم:

أشرنا إلى أن تحليل المضمون هو منهج من نوع خاص. لكن ذلك لا ينفي حقيقة أن هناك بعض الجدل في علوم الأنسان والمجتمع حول مفهوم (المنهج) أصلاً وقد تناولنا جانباً من تلك الأشكاليات في الصفحات السابقة، وهنا نؤكد أن منهج تحليل المضمون يمكن أن يزاوج مع المناهج الأخرى بحسب طبيعة الموضوع، الا أن على الباحث أن يبدأ بتحديد نوع التحليل أو نوع البحث أعتماداً على ما هو متاح من بيانات سابقة أو بناءاً على الهدف الذي يتوخاه الباحث مع ملاحظة أننا بأزاء تساؤل لم يحل بعد تماماً ما بين نوع البحث ومنهجه. تقول (سللتز) أن تصميم البحث (Research Design) يمكن أن يكون دراسة صياغة أو كشفية (Formulative or Exploratory Study) أو أن يكون دراسة وصفية .(Descriptive) الا أنها تستخدم لفظة منهج (71 ()Method حين يتعلق الأمر بالدراسات التي تختبر فروضاً أو علاقات سببية (72()Causal Relationships) غير أن (جود) و (سيتكس) يعتبران أن المنهج المشار أليه– مستوى نوعي، وليس منهجاً بالمعنى الدقيق ويمكن من خلاله الأستعانة بالمنهج التجريبي والمنهج التاريخي.

وفي حين يصنف البعض المناهج إلى: المسح الأجتماعي– ودراسة الحـــالة أو المنهج المونوغرافي– والمنهج التاريخي والمنهج التجريبي. فأن آخر من يذكرون: المنهج الأثنوغرافي. والمسوح والتجارب، وتاريخ السير (73).

أن المحلل الذي يستخدم منهج تحليل المضمون يستطيع، وبحسب طبيعة موضوعه ان يســتخدم منهجاً آخر مثل المنهج التاريخي، أو منهج دراسة الحالة. كذلك فأن المحلل قد يستخدم إلى جانب تحليل مضمون الخطاب أو الوثيقة بوصفها مادة دراسته التحليلية، قد يستخدم أدوات بحث أخرى كالمقابلة. فعلى سبيل المثال قام الدكتور سامي مسلم بوضع مجموعة من الأســئلة وجهها إلى المراسلين والمحررين الصحفيين في المانيا الأتحادية أستكمالاً لبحثه التحليلي عن صورة العرب في الصحافة الألمانية(74). كما أستخدمت الدكتورة عفاف أحمد عويس وهي تحلل قصص الأطفال مقياس تفهم الموضوع الذي يستخدم في العيادات النفســية كمقياس تشخيص لما يعانيه الفرد من ضغوط بيئية وأجتماعية نفسية(75). ومن حيث علاقة منهج التحليل بالمناهج الأخرى نورد هنا دراسة السيد (يسين) كمثال واضح. فقد صنف الباحث نوع دراسته بكونها (أستطلاعية)، وأشار إلى أنه يستخدم منهج تحــليل المضمون لدراسة معمقة للفكر القومي.. ومن خلال تحديد أربع مراحل أساسية تم تحليل الأنتاج الفكري الذي ظهر في خلالها (من مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى حتى ما بعد نكسة حزيران). وأشار الباحث أيضاً إلى: أن الجمع بين المنهج التاريخي ومنهج تحليل المضمون أدى إلى نتائج مثمرة. وكان الباحث قد أكد على أن الهدف من دراســته الأســتطلاعية هو: أستكشــاف الميدان والتعرف على مصادر الدراسة وأختبار كفاءة منهج تحليل المضمون وعلى ذلك يمكن أعتبار ما توصل أليه من نتائج فروضاً قابلة للأختبار في دراسات أخرى(76).

من الأمثلة الأخرى التي يمكن أيرادها دراسة الدكتور (عادل عبد الغفار خليل). فقد أشار إلى أن بحثه يندرج تحــت نوع البحوث الكمية الكيفية (Triangulation) كما تستخدم الدراسة منهج المسح لمضمون الأخبــار المقــدمة بــالراديو والتلفزيون والصحف.. كما تستخدم الدراسة منهج المسح للتعرف على أتجاهات عينة ممثلة للرأي العام المصري(77).

أن محلل المضمون يستطيع أن يستخدم مع منهج التحليل أي منهج آخر يمكنه من تحقــيق نتائج أفضل وأجابــات أكثر وضوحاً على أسئلة بحثه.

العينـــــــة:

المواد التي يسعى المحللون إلى دراستها مختلفة. فقد تكون مجموعة من الأغاني، أو الرسوم أو الوثائق، أو المقالات، أو الكتب، أو الخطابات... الخ. وفي غالب الأحيان تكون تلك المواد كثيرة عدداً، وذات مساحات زمنية واسعة، وبــالتالي يتعين على الباحث أن يقوم باجراءات معينة للتعامل مع المضمون الذي يحلله.

ليس من أهداف هذه الدراسة الموجزة أن تقدم شرحاً ضافياً لموضوع المعاينة (Sampling) غير أن من البديهي القول أبتداءاً أن الباحث قد لا يحتاج إلى معاينة، بل يشمل (مجتمع البحث)* بأكمله في دراسته. فهو على سبيل المثال قد يحلل خطاب أحد الرؤساء في الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو يحلل مجموعة قليلة من الوثائق، أو الرسوم، ولايجد صعوبــة في أن يحــللها جميعاً (مجتمع البحث). غير أن الأمر ليس بمثل هذه السهولة دائماً وبــالتالي فأن على الباحــث أن يأخذ جزءاً من المضمون لأغراض التحليل، ثم يعمل على تعميم نتائج تحليل الجزء على الكل.

يمكن تصنيف العينات إلى نوعين:

– العينات الأحتمالية الممثلة.

– العينات غير الأحتمالية كالعينة العمدية.

من العينات الأحتمالية: العينة العشوائية البسيطة .. ومثالها:

أن محللاً أراد أن يختار عينة من ألف دراسة أدبية نشرت في جريدة الزمان. فأن عليه أن يقوم بأعطاء رقم لكل دراســة من الدراسات الألف ويقوم أيضاً بما يأتي:

أ– تحديد الرقم الأولي أو العشوائي.

ب– تحديد مسافة الأختيار.

جـــ– تحديد حجم العينة.

أن فكرة العينة العشوائية تقوم على مبدأ ما يسمى بالكيس المثالي الذي يفترض أن كل الـ(100) دراسة قد وضعت في كيس وأن المحلل يوفر لكل دراسة أو مفردة منها فرصة الظهور. ونفترض هنا أن عينة البحث هي (250) أي ربع المجتمع الأحصائي. وأن الباحث حدد رقماً أولياً هو (5)، المسافة بين هذا الرقم والذي يليه إذا كان حجم العينة (250)؟ يمكن أجراء المعادلة البسيطة التالية:

$$\text{مسافة الاختيار} = \frac{1000}{4} = 4$$

بمعنى أن كل دراسة في العينة وحجمها (250) تمثل (4) دراسات من تلك الـ(1000) المنشورة في الزمان.

وفي بعض الأحيان تكون العينة عشوائية طبقية ومثالها: أن الدراسات الأدبية التي نشرت في جريدة الزمان كتب بعضها ذكور وبعضها الآخر أناث. فلو فرضنا أن حجم العينة هو (80) دراسة وأن نسبة الدراسات التي كتبتها أناث هي (25%) فأن عدد الأناث في العينة يستخرج كما يلي (80 × 25%)= (20) دراسة للأناث. أما دراسات الذكور فتستخرج كما يلي (80 × 75%)= (60) دراسة للذكور ثم يقوم الباحث بسحب أعداد دراسات الأناث وأعداد دراسات الذكور بنفس طريقة الكيس المثالي المشار أليها.

وفي أحيان كثيرة قد يضطر الباحث لدراسة عينة عمدية لأن المجتمع الأحصائي أو مجتمع البحث غير معروف مع المراعاة أن تكون وحدات العينة قد أخذت بطريقة يراعى فيها أن تكون قريبة من المتوسط في المجتمع موضوع البحث(78).

أن المعاينة لا تقتصر على المواد ذاتها بل تمتد إلى المساحة والزمن. حيث يقسم المضمون إلى أجزاء مادية قد تمثل عدد الأعمدة أو عدد السطور والصفحات التي تهتم بالأخبار المحلية أو الأجنبية في مجموعة من الصحف تمثل عينة محددة. وقد أستخدمت معظم الدراسات المبكرة قياسات المساحة لوصف الأهتمامات التي يركز عليها المضمون. فمثلاً: كم تفرد الصحف العراقية لموضوعات الخصخصة، أو لعرض مشاكل المواطنين. وقد تستخرج المساحة التي شغلتها أو غطتها الموضوعات المذكورة بالمقارنة مع مساحة الصفحة أو مساحة الجريدة (بأي مقياس ممكن للمساحة). وفي أحيان أخرى يقوم الباحث بقياس المساحة الزمنية لكي يستخرج عينة مناسبة، فعلى سبيل المثال يريد الباحث أن يحلل برنامجاً علمياً معيناً فيحاول أن يعرف كم تبلغ نسبة زمن بثه إلى مجموع ساعات البث، أو إلى مجموع الزمن المتاح للبرامج العلمية في قناة تلفزيونية معينة، أن المحلل يستطيع – إذا كان تحليله كمياً– ان يستخدم ما يشاء من المقاييس الأحصائية بحسب ما تتيحه له العينة والأمكانات الفنية الأخرى. وقد لاحظت من خلال أطلاعي على عدد من أطاريح الدراسات العليا ان الطالب، وهو يستخدم مربع كاي (X2) مثلاً لا يعرف على وجه الدقة شروط أستخدام هذا المقياس من حيث نوع العينة، وحجمها وتوزيعها، وماذا تعني مفاهيم مثل: مستوى المعنوية ودرجة الحرية، وماذا تعني الفروق بين الملاحظات او القيم المشاهدة والقيم المتوقعة إلى غير ذلك. ومن ثم فأن التحليل الكمي يتطلب نوعاً من الأحاطة الكافية بالأجراءات الأحصائية المناسبة.

الفئـــات: (Categories)

يعاني كثير من طلبة الدراسات العليا الذين أختاروا منهج تحليل المضمون، من صعوبة تحديد الفئات وتعريفها، والواقع أن عملية تحديد الفئات جوهرية ومهمة لكل باحث في أي حقل من حقول العلم. بل أننا في حياتنا اليومية غالباً ما نفكر من خلال أصناف وفئات نصطنعها أو أصطنعها غيرنا. الفئة في الفلسفة: جملة من الموضوعات التي تربط بينها صفات مشتركة. ويقال على النوع والجنس على حد سواء(79).

بالمعنى القاموسي تشير الفئة إلى مسمى يطلق على أشكال من الأشياء أو الأفعال أو العلاقات التي تظهر بصورة منسقة ومتكررة بحيث تجعل هذه الطبقة شيئاً يمكن التنبؤ به. كما يطلق المصطلح على الشيء ذاته.

ويقال أتجاه تصنيفي (Categorical Attitude) أي الميل لتصنيف الموضوعات والأحداث في فئات أو مقولات. ويميز هذا الميل الفكر الأنساني برمته وخاصة في الأستخدامات اللغوية. والأتجاه التصنيفي يمكن الأنسان من أدراك أوجه الشبه بين الأشياء المنفصلة وجمع الظواهر في أنماط وتسميتها وكذلك التعميم. فالأنسان لا يستطيع أن يستجيب لموضوع أو حادث معين بوضعه منعزلاً وأنما تأتي هذه الأستجابة كجزء من نسق كلي للتصنيف(80).

يشير (فختر) إلى أن الفئة ليست مجرد تصور عقلي. فحين نقول فئة أجتماعية نعني جمع من الناس (يفكر بهم) بوصفهم وحدة أجتماعية لأنهم يتشابهون بطريقة أو بأخرى. أن المشابـــهة (Similarity) أو الأشـــتراك في خصائص معينة هي العنصر الجوهري في تعريف الفئة الأجتماعية. إن تكوين الفئات هو واحد من العمليات العقـــلية الأكثر شـــيوعاً التي تمارســـها الكائنات البشرية. والفئات أساسية لكل علم لأنها تجعل بالأمكان فهم العالم لخصائص وسلوك الأشـــياء المتشابـــهة. ومن الأمثلة على ذلك محاولة تقسيم وتصنيف الأشياء المادية إلى فئتين رئيستين هما: فئة الأشياء الحية وفئة الأشياء غير الحية كما أن الأشـــياء الحـــية يمكن أن تصنف جزئياً إلى نباتات وحيوانات، كما أن الحيوانات يمكن أن تصنف إلى وحشية وأنسانية. والكائنات الأنســـانية يمكن أن تصنف إلى شباب وشيوخ. ومن زاوية معينة فأن الفئة الأجتماعية توجد (فقط في العقل) ولكنها حين تكون فئة صادقـــة فأن لها أساس من الوجود الواقعي أو الحقيقي في العالم الخارجي أو الموضوعي وهذا الأساس الموضوعي هو المشابـــهة، أو الخصائص المشتركة. وبـــالتالي فأن الفئة هي بحـــد ذاتها جمع منطقـــي أو عقـــلي –لتلك الخصائص–(81). فحـــين نتكلم عن (الجرائد) أو (المجلات) أو (الأذاعات) فأن لدينا تصورات عقلية كافية تجعل كل فئة من تلك الفئات مستقلة عن غيرها. ومن المهم أن نلاحـــظ أيضاً أن جميع الفئات تقريباً ذات طبيعة أحصائية فالأشـــياء ذات الخصائص المشـــتركة يمكن أن تعد. إن من عينة الموضوعات المجدولة أحصائياً فئات مثل: العمر والجنس والأحوال الزواجية، وعدد الولادات، أو أماكن الولادات.... الخ.

أن على الباحث أن يتجنب أتجاهين أزاء مسألة الفئات الأحصائية اولها الرأي القائل أن الفئات هي مجرد (أحصاءات) أي أنها مجرد قضية عد أو حساب وبالتالي فلا قيمة لها غير ذلك وثانيها أن تحليل المضمون هو مجرد عملية أحصاء أو عد لصفات أو خصائص معينة. أن للأحصاء أهمية، لكنه ليس سوى أداة نستخدمها بهدف تنظيم البـــيانات، والتركيز على بـــعض مؤشـــراتها، وضمان درجة أعلى من الدقة. ومن هنا وجب على الباحث أن ينظر إلى عملية التحليل بوصفها أبعد من عملية حســـاب لبـــعض المعاني أو المؤشرات أنها في الواقع عملية فيها من الأبداع ومن القدرة على أكتشاف العلاقات بين المعاني، بل وفيها أمكانية للتبنؤ ببعض الأحداث والمواقف.

أن لتكوين الفئات شروطه التي لابد من أن تؤخذ بنظر الأعتبار بدءاً من مرحلة صياغة مشكلة البحث، وبناء الفرضيات إن وجدت، مروراً بالقراءة الدقيقة للنص، وترميز الوحدات التي أخترناها، فالفئة ينبغي أن تستمد من مبـــدأ تصنيفي مفرد. وأنها لابد أن تكون محددة بحيث لا يمكن لعنصر أو صفة أن تدخل فيها، وتدخل في الوقت نفسه في فئة أخرى. وكل ذلك يعني أن عملية بناء الفئات (Catagorization) هي عملية دقيقة. وهي بقدر ما تعتمد على قواعد متواترة في البحوث التحـــليلية فأن قـــدرات الباحث الشخصية وحساسيته آزاء النصوص أو المواد التي يحللها، وتوفر مصادر معلومات مسبقة حول المرسلين، والتحرر من الآراء المسبقة والأحكام القيمية كل ذلك، يجعل الباحث أكثر قدرة على بناء فئات يمكن أن تســـتوعب الوحـــدات التي أختارها. مع ملاحظة مهمة هي أن ذلك الأستيعاب وتلك الدقة، وبالتالي مستوى الثبات ستصبـــح كلها عرضة للشـــك إذا لم تكن عملية الترميز دقيقة*.

أن الفكرة الأساسية في تحليل المضمون هي: أن كلمات النص تصنف في فئات محددة وكل فئة يمكن أن تتكون من كلمة أو عدة كلمات أو الكثير من الكلمات أو المقاطع وغيرها من وحـــدات النص التي تصنف في نفس الفئة على أفتراض أن لها معانٍ متماثلة، وأعتماداً على أهداف الباحث فأن هذا التماثل (Similarity) يمكن أن يقوم على أساس المعنى الدقيق للكلمات المترادفة من حيث معانيها مثلاً أو التي تشترك في أيحاءات متشابهة مثل كلمات (القوة/ القدرة/ السلطة/ الثروة...)(82) أن الباحث يواجه عادة الغموض الناجم عن تداخل المعاني، كما يواجه حقيقة أن المضامين ليست معطاة له على نحو جاهز وبســـيط بـــل أن عليه، لا أن يلخصها فقط، أن يحدد أهدافها ومواصفاتها. فعلى سبيل المثال قد يصنف المحـــلل البـــرامج التلفزيونية إلى: ترفيهية، وثقـــافية، وتعليمية، وفنية... الخ. غير أن دقة هذا التصنيف مشروطة بقدرة الباحث على رسم حدود كل مفهوم من المفاهيم المذكورة بحيث لا تتداخل مع بعضها.

ولعل من المفيد أن نقدم هنا مثالاً تطبيقياً لاستخدامات الفئات مستمد من دراسة للسيد عويس. فقد حدد الباحث ثمان عشرة فئة في تحليله لمضمون الفكر القومي العربي.

الفئة الأولى: نشأة الفكرة القومية وقد وضع لها تعريفات ثم حدد عناصرها وهي – الدينية/ العرقية/ العلمانية وعرف كل عنصر من هذه العناصر.

الفئة الثانية: مبررات الفكرة القومية ووضع لها تعريفاً ثم حدد عناصرها وهي: تاريخية/ تحـديات خارجية/ تحـديات داخلية/ الحفاظ على الكيان القومي.

وقد عرف الباحث كل عنصر من هذه العناصر الفئة الثالثة: فئة تصور اشكال الوحدة.

وبعد أن عرفها حـدد العناصر التالية لها: أندماجية/ فيدرالية/ كونفدرالية/ تعاهدية وقـام بـتعريف كل عنصر من هذه العناصر (83). ومن المفيد أن نشير هنا إلى ان بعض المحللين يستخدم مفهوم البعد أو الأبعاد. والمقـصود بالبـعد أنه أحـصاء مختصر يهدف إلى تركيز المادة وتبويبها وتنظيمها في كل شامل يسـتطيع من خلاله أن تصنف المتغيرات الكثيرة التي أسـتطعنا التوصل أليها. وهو يمتد سلباً أو أيجاباً أو تدرجاً بين طرفي قطبين متعارضين. ومن ثم نستطيع أن نحدد عليه موضعاً لكل حـدث سلوكي(84)، ففي دراستها عن أبعاد سلوك المرأة كما تقدمه قصص الصحافة النسائية حددت الدكتورة (ناهد رمزي) ثلاثة أبـعاد على مستوى التجربتين الأستطلاعية والأساسية ثم أضافت لها ثلاثة أبعاد أخرى أستمدت من التجربة الأساسية. فعلى سبيل المثال ضم بعد السلبية/ الأيجابية ثلاثة مواقف سلوكية يتضمنها قطب السلبية وثلاثة مجالات سلوكية تضمنها قـطب الأيجابـية. وهكذا بالنسبة للأبعاد الأخرى(85).

مثال رقم (1)

المواقف السلوكية التي تضمنها قطب السلبية في دراسة د. ناهد صبري

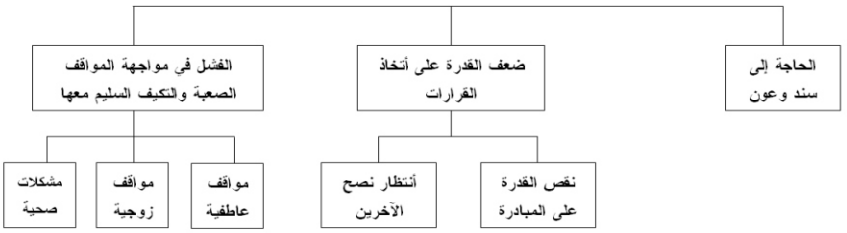

ويظهر هذا الجانب ان المرأة قد صورت في القصص على أنها تحتاج إلى سند وعون الآخرين. إن هذا الأتجاه ظهر على مستوى الثماني وعشرين قصة التي تم تناولها بالتحليل في التجربة الأستطلاعية*. وفي دراسة أخرى أستخدم الدكتور (عادل عبد الغفار خليل) مصطلح البعد للتعريف بالصور النمطية لأسرائيل كما عبـرت عنها عينة من المبحـوثين من خلال أسـتخدام عدة عبارات وآزاء كل منها مدرج يبدأ بالموافقة الشديدة وينتهي بالمعارضة التامة

مثال رقم (2) أبعاد صورة أسرائيل النمطية كما عبرت عنها عينة من المبحوثين(86)

العبارات التي تعكس صورة أسرائيل	موافق بشدة	موافق	غير محدد	معارض	معارض بشدة
أسرائيل دولة عنصرية					
أسرائيل دولة متسامحة					
أسرائيل دولة عدوانية					
أسرائيل دولة محبة للسلام					

مع ملاحظة أن الباحث قام بتحصيل مواد أعلامية أذاعية وتلفزيونية وصحفية، إلى جانب مقابلات مع عينة المبحـوثين المشار أليها. من الدراسات الأخرى التي أود الأشارة أليها دراسة (سلوى محمد عبد الباقي) التي أصدرتها الأسكوا تحـت عنوان (صورة المرأة المصرية دراسة في تحليل مضمون بعض البرامج الأذاعية). وقد أسـتهدفت الباحـثة التعرف على صورة المرأة المصرية كما تظهر في البرامج الأذاعية الموجهة إلى النساء مقارنة بـالصورة الفعلية للمرأة للأجابة على أسـئلة مثل: هل هناك أتفاق بين الصورة التي تقدمها تلك البرامج عن المرأة والصورة التي ترتسم في عقول النساء المصريات عن ذواتهن، وكذلك حول

ما إذا كانت صورة المرأة عن ذاتها تختلف تبعاً لمتغيري المستوى التعليمي والعمل. لقد جمعت الباحثة بين التحليل الكمي والنوعي وأختارت أثنين من البرامج الأذاعية المعروفة كما أستعانت بأختبار تكملة الجمل ومقياس تفهم الموضوع لقياس مفهوم الذات عند المرأة وطبقته على عينة مؤلفة من (60) مبحوثة. قسمت الباحثة صورة المرأة في البرامج الأذاعية إلى ثلاثة مجالات هي: مفهوم الذات والعلاقة ما بين الجنسين وأخيراً. أدوار المرأة. وتوصلت الباحثة إلى أن تلك البرامج قدمت (31) موقفاً سلبياً عن المرأة بواقع (53.5%). ومن هذه المواقف كونها غير قادرة على التخطيط وتابعة للرجل وتفتقر إلى الهوية المستقلة وأنها مترددة وضيقة الأفق وأن دورها الأجتماعي لا يكتمل إلا بالأنجاب مقابل ذلك لم تظهر الصورة الأيجابية للمرأة إلا في (8.3%) من المواقف حيث صورت بأنها قادرة على أتخاذ القرار وتستطيع مواجهة المواقف الصعبة وغير خاضعة للزوج والأهل. كما أظهرت الدراسة أن البرامج الأذاعية صورت العلاقة بين الجنسين على أنها علاقة سيطرة وخضوع وأحتمل دور الأم مجالاً واسعاً في المادة التي خضعت للتحليل يليها دور المرأة كزوجة ثم دورها الأنثوي المرتبط بالجنس. أما نتائج أختبار تكملة الجمل لقياس مفهوم الذات عند المرأة فقد كشفت وجود ثلاثة مستويات: الأول هو أن تصور المرأة لذاتها يتم في ضوء تصورها للجنس الآخر. والثاني يتعلق بتصور المرأة لقدراتها والثالث صورة الذات من خلال أدوار المرأة، لقد أظهرت الدراسة أن المرأة تصورت ذاتها في مرتبة أقل من الرجل، وأن قدراتها تسمح لها بالتدريس والتمريض. كما أكدت المبحوثات أن دورهن الأساسي يقتصر على كونهن زوجات وأمهات*.

وحدات التحليل:

حاولنا في الفصول السالفة أن نقدم أيضاحات قد تكون مسهبة بعض الشيء لمنهجية تحليل المضمون وخطوات التحليل وغيرها وصولاً إلى هذا الفصل حيث سنتناول الأطر الأجرائية أو التقنيات التي يمكن للباحث أو المحلل أستخدامها في ضوء طبيعة المضمون ذاته من جهة، وفي ضوء الأمكانات المتاحة له من النواحي المادية والفنية والزمنية. لقد لاحظت ان معظم الأطاريح – سواء للماجستير أو الدكتوراه– أستخدمت وحدة معينة دون غيرها وهي الموضوع (Theme) ولم أجد من أستخدم الكلمة أو الرمز. نظراً لكلفتها العالية ولأن أستخدام الكومبيوتر في التحليل ليس شائعاً عندنا حتى اليوم.

أن على المحلل أن يطرح على نفسه جملة من الأسئلة المهمة ومنها:

1– ماذا يسجل من المضمون؟ Recording Unite

2– ما هي وحدات السياق (Context) التي تضم الوحدات التي سجلها.

3– ما هي أنظمة العد (System of Numeration).

وفي أعتقادنا أن على المحلل أن ينظر إلى المضمون أو النص بأعتباره كلاً، متداخل المعاني أو أن كل مكوناته (الكلمات والجمل، أو الألوان، وكذلك الأشكال، والمساحات... الخ) تسهم في بناء معانيه حتى تصبح قابلة للفهم من الطرف الآخر. كذلك فأن من الخطأ الفادح أن يتعامل المحلل مع النص دون أن تكون لديه معرفة بمرجعية النص، أو المعلومات عن منتج الرسالة، أو عن أهدافه المعلنة على الأقل. أن تحليل مضمون النشرات التي تصدرها منظمة معينة، يكون بالتأكيد أكثر عمقاً، ويتميز بدرجة أعلى من الصدق، حين يكون لدى المحلل معلومات عن تلك المنظمة من حيث نشأتها وأيديولوجيتها وأهدافها... الخ. ولأن الباحث أو المحلل أنسان له أهتماماته وأنحيازاته، فأن عليه– وكما أشرنا سابقاً– أن يعي بوضوح إلى أي جهة يمكن أن ينحاز وما هو تأثير ذلك على مصداقية تحليلة.

ويلاحظ أننا غالباً ما نتكلم عن محلل (فرد) غير أن ذلك ليس صحيحاً دائماً. ففي أحيان كثيرة يكون هناك فريق من المرمزين، وباحث رئيسي ومساعدين مما يتطلب تقسيماً دقيقاً للعمل وتحديداً واضحاً للوظائف يحقق أعلى درجة ممكنة من الأتساق وهو ما يعني –أيضاً– مرحلة مسبقة من التدريب والمران والأختبار. أن أول تجربة لتحليل المضمون في العراق حدثت –كما أشرنا– في وحدة بحوث الأتصال بالمؤسسة العامة للأذاعة والتلفزيون في سبعينات القرن الماضي، ولا أعلم إن كانت قد تكررت في مؤسسات أخرى. إلا أن من المؤكد القول أن تلك التجربة مع اهميتها، أنقطعت، وضاع تراثها، وتلك هي خلاصة مأساة البحث العلمي في كثير من الدول النامية، حيث يعتمد ظهور التجربة أو المشروع أو المؤسسة العلمية على أرادة رجل السياسة، وينتهي بأرادته أيضاً.

أولاً: وحدات التسجيل (Recording Unites):

لاشك أن تحديد وحدات التسجيل يعد خطوة جوهرية لا غنى عنها من أجل تحليل النص. إذ أن الباحث ملزم بتحديد حجم الوحدات التي ينبغي القيام بترميزها. وتعد وحدة التسجيل جزء محدد من المضمون يضعه الباحث في صنف معين من الأصناف التي حددها. أن أستعراض أدبيات تحليل المضمون يبين أن هناك العديد من وحدات التسجيل.

1- الكلمة المفردة أو الرمز:

كانت هذه الوحدة مهملة في الماضي غير أن خدمات الكومبيوتر ساعدت على أنتشارها من خلال تقليص كلفة أستخدامها فضلاً عن أن أستخدامها يوفر مستوى عالٍ من الثبات القائم على أساس تكرار الكلمات أو الرموز. لقد أستخدمت هذه الوحدة من عدة أنواع من الدراسات أهمها:

أ- في التحليل السياسي الرمزي ومثال ذلك الذي أستخدمه (لاسويل وزملاؤه).

ب- في تحليل الأسلوب الأدبي مثال ذلك دراسة (جوزفين ميلز) عام (1951) وكان موضوعها: أستمرار اللغة الشعرية: دراسات في الشعر الأنكليزي من عام (1540-1940).

جـ- الدراسات التي أجريت على مدى أهلية مواد معينة للقراءة. وتعتبر مثل هذه الدراسات مهمة جداً في مجالات العملية التربوية. ولذلك أوصت بعض الدراسات ومنها تلك التي أجريت في العراق بضرورة أعداد قوائم بالألفاظ ومفردات الكلمات التي يستعملها ويفهمها الأطفال لتكون أساساً تقوم عليه عملية أعداد الكتاب المدرسي الجيد. ومن الدراسات العراقية التي أجريت في هذا الصدد دراسة الدكتور (موفق الحمداني)، و (يعقوب الخميسي) حول كتب القراءة العربية في المرحلة الأبتدائية- التي أصدرها مركز البحوث التربوية والنفسية سنة (1973)(87).

ومن الأمثلة على النوع الأول من الدراسات، أي أستخدام الكلمة المفردة أو الرمز في التحليل السياسي، دراسة (لاسويل) عن الصحف. فقد قام هذا الباحث، وهو من رواد تحليل المضمون، بوضع نظام للتحليل الرمزي أستخدمه فيما بعد عديد من المحللين خلال الحرب العالمية الثانية(88) تضمن تحليل مضمون الصحف حسب ظهور رموز معينة مثل: أنكلترا/ روسيا/ الديمقراطية... الخ. وقام بتسجيل تكرار هذه الرموز أي عدد ظهورها ثم لاحظ صيغة تقديمها من حيث التفضيل أو الرفض أو الحياد، ثم قسم مصادر التفضيل إلى تلك التي تؤكد على القوة أو تلك التي تؤكد على الأخلاق(89). ومن الدراسات العراقية التي يمكن الأشارة أليها: دراسة الثروة اللغوية عند الأطفال من خلال أقاصيصهم، وقد تبين منها أن أطفال الصف الأول من العينة التي أخضعت للدراسة أستعملوا (723) كلمة، وأطفال الصف الثاني أستعملوا (714) كلمة مقابل (848) كلمة لطلاب الصف الثالث و (986) كلمة لطلاب الصف الرابع. كما تبين أن حرف الميم أستأثر بأكبر عدد من كلمات القائمة يليه حرف الألف ثم حرف الحاء... الخ(90).

ومن الدراسات العربية الجيدة التي يمكن الأشارة أليها دراسة الدكتورة (مها الكردي) عن أدراكات وخيالات عينة من الأطفال المصرين. ولأهمية الدراسة نوجز خطواتها فيما يلي:

- تم تدريب أربع باحثات من طالبات الدراسات العليا على تعليمات التطبيق الفردي أعتماداً على أختبار تفهم الموضوع.
- يجلس الطفل في مواجهة الباحثة التي تجري معه حواراً ودياً لبناء علاقة وجدانية معه.
- تعرض عليه صوراً، وتطلب منه أن يحكي لها قصة مستمدة من أيحاءات كل صورة.
- ثم تعرض عليه بطاقة بيضاء وتطلب منه أن يتخيل الصورة التي يجب أن يحكي عنها قصة.
- تسجل الباحثة ما ينطق به الطفل حرفياً دون الدخول معه في مناقشات او توضيحات أو حوارات.
- تجمعت (168) قصة كما نطق بها الأطفال.
- ثم القيام بالأجراءات التالية:
- تفريغ محتوى القصص من كلماتها من عينتي البحث (ذكوراً وأناثاً). - تصنيف التكرارات في فئات تحت ثلاثة عناوين رئيسة هي:

– أطراف الصراع (فلسطين وأسرائيل).
– الأحتياجات النفسية غير المشبعة (مثل الحاجة إلى الأمن/ إلى تجنب الأذى/ الدفاع عن النفس... الخ.
– الضغوط البيئية التي تعيق أشباع الحاجات النفسية مثل العدوان على الأفراد كالأصابات والموت والتعذيب.
– العدوان على الممتلكات.
– الأسلحة المدمرة كالمسدسات والقنابل.

وكمثال للنتائج الجدول التالي:

القصص	البطل (أطفال)	أطراف الصراع				المجموع
		أسرائيل		فلسطين		
		ت	%	ت	%	
١	٣٤	٤١	٨٠	١٠	٢٠	٥١
٢	٣٥	١٩	٧٦	٦	٢٤	٢٥
٣	٢١	٦٤	٨٦	١٠	١٣	٧٤
٤	٣١	٤٣	٩٨	١	٢	٤٤
٥	٢٨	٣٥	٧٤	١٢	٢٦	٤٧
٦	٣٣	٣٥	٨١	٨	١٩	٤٣
٧	٢٨	٢٧	٦٩	١٢	٣١	٣٩
المجموع		٢٦٤	٨٢	٥٩	١٨	٣٢٣

حيث أن ذكر كلمة (أسرائيل) في جميع القصص كانت أعلى بالمقارنة مع ذكر كلمة (فلسطين) (82%) مقابل (18%)(91). ويلاحظ أن الدراسة، أستخدمت مجموعة من الصور وأعتمدت على تصورات المبحوثين، حيث قامت بتسجيلها بدقة، بوصفها المضمون الحقيقي– وليس الصور – أعتماداً على مفردات الكلمات.

أن أستخدام الكلمات والرموز، مع كل مزاياه قد يكون صعباً بدون خدمة الحاسوب وخصوصاً حين يكون عدد الكلمات كبيراً. من الدراسات المهمة التي يمكن الأشارة أليها دراسة (مارلين نصر) عن فكر (جمال عبد الناصر) حين درست على نحو تزامني وتعاقبي مفردات مثل الأمة العربية والوحدة العربية والحرية.... وحللت صلاتها(92).

2– حس الكلمة (Word Sense): أو المعاني المحسوسة للكلمة فأجهزة الكومبيوتر أصبح لها القدرة على تسجيل الأحساسات المتعددة التي تثيرها فينا الكلمات وبالتالي أمكن للباحث أن يرمز الكلمات ذات المعاني المتعددة بأختلاف اللهجات.

3– الموضوع: عرف (هولستي) الموضوع (Theme) بأنه وحدة من النص تحتوي على واحد فقط من كل من العناصر التالية:

– المدرك (The Perciever).
– المدرَك (The Percieved) او ما يمثل الفعل.
– الفعل.
– هدف الفعل.

ويعد الموضوع ولأغراض متعددة الوحدة الأكثر فائدة في تحليل المضمون والموضوع هو فكرة مفردة حول مسألة معينة وبالتالي فهو وحدة لا مفر من أستعمالها تقريباً في دراسات الدعاية والقيم والأتجاهات غير أن العائق الرئيسي الذي يجعل مثل هذا الأستعمال صعباً هو أن تركيز الموضوعات غالباً ما يأخذ وقتاً أطول أضافة إلى أن الموضوعات ليست سهلة التحديد كوحدات (طبيعية) مثل الكلمات المفردة وبالتالي لابد للباحث أن يقيم حكماً وسطاً لتحديد روابط الموضوع.

لنأخذ على سبيل المثال العبارة التالية:

أسرائيل دولة عسكرية وهي أداة الرأسمالية العالمية تستهدف أستنزاف طاقات العرب أن العبارة المذكورة تحتوي على عدة موضوعات. ولابد للباحث من أن يقلصها إلى موضوعات فرعية قبل أن تفرغ في الأصناف المناسبة لها، فيلاحظ أنه سوف يواجه عشرات وربما مئات من هذه الموضوعات ذات التداخل المعقدة أحياناً. وقد يكون من المفيد تحديد مستويين أو أكثر للموضوعات من حيث العمومية مثل:

أ- مستوى الموضوع العام، ونعني بذلك الفكرة الأساسية التي تدور حولها الموضوعات.

ب- مستوى الموضوع الجزئي أو الأقل عمومية، ونقصد بذلك الأفكار التي تحدد خصائص معينة للموضوع العام(93).

إذا رجعنا إلى العبارة المشار أليها نجد ان الموضوع الرئيسي لها هو (أسرائيل) أما الموضوعات الفرعية فهي: دولة عسكرية - أداة الرأسمالية العالمية في أستنزاف طاقات العرب.... الخ ومن الأمثلة على الدراسات التي أستخدمت الموضوع بالصيغة المشار أليها الدراسة التي أجرتها وحدة بحوث الأتصال في المؤسسة العامة للأذاعة والتلفزيون (سابقاً) لعينة من برامج الأطفال(94). وكان (هولستي) قد قدم المثال التالي: الأمبرياليون الأمريكان هددوا السلام وأنهم يهيئون للهجوم على المعسكر الأشتراكي. فهذا الموضوع يمكن أن يجزأ إلى ما يأتي: - الأمبرياليون الأمريكان، هددوا السلام/ الأمريكان يهيئون للهجوم على المعسكر الأشتراكي(95).

4- الجملة (Sentenc): وتسجل الجملة ككل بوصفها وحدة ترميز عندما يكون الباحث مهتماً بكلمات أو مقاطع تظهر معاً، فعلى سبيل المثال قد يكون المرمزون مهتمون بحساب الجمل بوصفها مرجعيات أو مصادر (References) أيجابية أو سلبية أو حيادية آزاء دولة معينة (مثلاً). فجملة (أمبراطورية الشر) (evil empire) قد تحس بوصفها تقويماً سلبياً وجملة: الحوار مع الأتحاد السوفيتي مستمر يمكن أن ترمز بوصفها تقويماً حيادياً.

5- المقطع (Paragraph): حين لا تتوفر خدمات مساعدة من الكومبيوتر، أو حين تكون أمكانات الترميز البشرية محدودة فأن الباحثين قد يلجئون أحياناً إلى ترميز كل المقاطع بهدف تقليص الجهود المطلوبة. لقد أظهرت الدراسات أن من الصعب الوصول إلى مستوى عال من الثبات في حالة ترميز الوحدات الكبيرة مثل المقاطع.

6- الشخصية: أستخدمت الشخصية (Character) على نطاق واسع في تحليل الروايات والقصص. ويقوم الباحث في حالة أستخدام هذه الوحدة بوضع الأشخاص بدلاً من الكلمات أو الموضوعات في الأصناف المناسبة لها. من الأمثلة على أستخدام الشخصية في تحليل المضمون الدراسة التي قام بها (برلسون) و (سالتر) والتي شملت تحليلاً كلياً لـ(198) قصة قصيرة منشورة في ثمانية مجلات واسعة الأنتشار سنة (1943). وقد أظهرت نتائج التحليل أختلافات جوهرية بين (الأمريكان) عند مقارنتهم بأشخاص من جماعات أقلية أو أجنبية إذ أن أشخاص هذه الجماعات ظهروا بصورة مقلوبة بحيث بدأ الأيطاليون من رجال العصابات. والزنوج مهملين بصورة تثير الرثاء. واليهود خبثاء وقد ذكر الباحثان أن أثر هذه المجلات يكمن في تعميق الميل لدى قراءها لكي ينسبوا صفات معينة للجماعات الأقلية أو الأجنبية(96). وقد حلل الدكتور (محمود الشنيطي) في دراسته الأستطلاعية للقصة القصيرة في المجلات المصرية بعض جوانب شخصيات أبطال تلك القصص. كذلك حلل الدكتور (أياد القزاز) خصائص القوالب النمطية التي تظهر في أطارها الشخصية العربية في بعض المؤلفات الأمريكية.

7- كل النص (The Whole Text):

في حالة المفردة (Item) تؤخذ المادة بحد ذاتها كمقالة أو كتاب أو برنامج أذاعي تخضع للتحليل. أن المفردة وحدة عامة في معظم البحوث غير أن أستخدامها يواجه مشكلات معقدة خصوصاً حين تقع بين صنفين متميزين. فعلى سبيل المثال هل يصنف فلم كوميدي عن الحرب ضمن صنف الحرب أو صنف الكوليديا(97).

ثانياً: وحدة مقاييس الزمن والمساحة:

من خلال أستخدام هذه الوحدة يقسم المضمون إلى أجزاء مادية قد تمثل عدد الأعمدة أو عدد السطور والصفحات التي تهتم بالأخبار المحلية، أو الأجنبية في مجموعة من الصحف تمثل عينة محددة. وقد أستخدمت معظم الدراسات المبكرة قياسات المساحة لوصف الأهتمامات التي يركز عليها المضمون. وفي أحيان أخرى قد تستخدم هذه الوحدة لقياس الزمن الذي تستغرقه النشرات الأخبارية لأذاعة معينة في اليوم الواحد ونسبة هذه المساحة الكلية للبث. أن شيوع أستخدام هذه الوحدة يرجع إلى السهولة النسبية لها وإلى ثبات نتائجها. ومع أن لاستخدامها فائدة كبيرة فأنها قد تصبح عقيمة إذا كان الهدف من التحليل يتعلق بالأتجاهات والقيم.

ثالثاً: وحدات السياق:

أن تصنيف وحدة التسجيل ليس ممكناً بدون الرجوع إلى وحدة السياق، فالأتجاهات نحو مفاهيم أو كلمات مثل الديمقراطية، والحرية، والحرب إلى غير ذلك لا يمكن التعرف عليها من خلال حساب تكرار المفهوم أو الكلمة فقط، بل لابد من التعرف على السياق الذي وردت فيه. أن وحدة السياق هي الجزء الأكبر من المضمون، أما وحدة التسجيل فهي أصغر جزء منه، فهي قد تكون كلمة أو مصطلحاً أو مفهوماً أو رمزاً. إلا أننا إذا أردنا أن نتعرف على ما إذا كانت قد وردت بطريقة عدائية أو ودية فلابد من أن نأخذ في أعتبارنا كل الجملة التي وردت فيها أي السياق(98). وقد نستطيع أن نحدد درجة عداء مجموعة من الصحف الأوربية آزاء (الفلسطينيين) مثلاً إذا حللنا السياقات التي وردت فيها. فقد ترد الكلمة في سياق مجموعة من المعاني المتضمنة لخصائص الفداء. والحق في تقرير المصير. وقد ترد في سياق معان أخرى مضادة. أن السياق بهذا المعنى يصبح أطاراً تفسيرياً لوحدة التسجيل.

أن أختيار وحدات التسجيل والسياق ينبغي أن يقوم على أساس أعتبارين:

أ- أختيار الوحدات التي تتفق تماماً مع متطلبات المشكلة التي يتصدى الباحث لها.

ب- أختيار الوحدات التي تعطي أفضل النتائج بأقل التكاليف.

رابعاً: أنظمة العد (Systems of Enumeration):

لكي يتعامل المحلل مع البيانات بصورة كمية لابد أن يختار وحدة العد. وفي بعض الأحيان تكون وحدة العد مطابقة لوحدة التسجيل، ففي دراسة عن المهن التي تظهر في التمثيليات التلفزيونية. أو في القصص المنشورة في الصفحات الأدبية من الصحف اليومية تسجل كل مهنة. ويقسم مجموع المهن بالتالي إلى أصناف مثل (عامل-فلاح- موظف... الخ) أن وحدة التسجيل التي أختيرت لتحليل رواية معينة هي الشخصية على سبيل المثال، فإذا سجل الباحث شخصية الآب في كل مرة تظهر بها سواء في أوضاع متماثلة أو متنوعة فأن وحدة العد ستطابق وحدة التسجيل، أما إذا سجل شخصية الأم مرة واحدة فقط في وضع تضمن في الواقع ثلاث امهات يتحاورن مع بعضهن فأن وحدة العد هنا ستختلف عن وحدة التسجيل.

المضمون	في حالة التطابق بين وحدة العد ووحدة التسجيل	في حالة الاختلاف بين وحدة العد ووحدة التسجيل
موقف أجتماعي يتضمن تفاعل أربعة أشخاص يمارسون مهناً متماثلة	أربعة علامات	علامة واحدة

أن أنظمة العد تتنوع طبقاً للدقة وللوقت المتاح لترميز البيانات المستمدة من عينة معينة وعلى العموم يمكن القول أن الدقة الشديدة تعني كلفة أكبر أضافة إلى أن لهذا الأمر آثاره على مشكلة الثبات وعلى النتائج بالتالي. والمبدأ السائد هو أن كل نظام للقياس يحمل معه أفتراضات معينة بالنسبة لطبيعة البيانات والاستدلالات القائمة عليها.

خامساً: التكرار:

من الطرق الشائعة لقياس خصائص المضمون تسجيل تكرارات ظهور خاصية أو خصائص معينة. فمثلاً كم مرة أستخدم خطيب معين كلمات معينة في خطابه، كم مرة ربطت أذاعة معينة بين حدث ما وبين تنظيم سياسي أو أجتماعي. أن هذه الطريقة تنطوي على أفتراضين: الأول هو أن المحلل يفترض أن تكرار خاصية معينة في الرسالة الأعلامية هو مؤشر صادق لمتغير معين مثل تركيز الأنتباه، أو الشدة، أو الأهمية. الثاني هو أفتراض المحلل بأن كل وحدة من المضمون (الكلمة او الموضوع او الشخصية او المفردة) يجب ان تعطى وزناً مساوياً للوحدات الأخرى بحيث يسمح ذلك بالتجميع أو المقارنة المباشرة. غير أن هذه النقطة تبدو ذات علاقة وثيقة بمشكلة الصدق Validity ولذلك حظيت باهتمام واسع من قبل المحللين والمنظرين. أن وصف مضمون الصحف مثلاً مثلاً يميز بين المفردات التي تظهر على الصفحة الأولى وتلك التي تظهر على الصفحات الداخلية ولذلك

ترمز كل منهما بصورة منفصلة أو باستخدام نظام أخر يستوعب ذلك الأختلاف(99).. من الأمثلة التي يمكن ذكرها في هذا الصدد أن الفلم الدعائي الأسرائيلي (نجمة داود) تميز بالتركيز على خاصية معينة تكررت في معظم مواقف ومشاهد الفلم بشكل ممل. وهي أظهار تلك النجمة على الأسلحة. وعلى جوانب الطرق والبنايات بهدف تركيز أنتباه المشاهد والأيحاء له بأن أسرائيل موجودة منذ أقدم العصور.

سادساً: الشدة (Intensity):

ذهب (لاسويل) إلى أن تحليل المضمون الجيد هو ذلك الذي تصف نتائجه، بالأضافة إلى أشياء أخرى عديدة، عدد المرات التي قدمت بها رموز معينة، بدرجات معينة من الشدة(100) ويطلق على الشدة أحياناً مصطلح الأنفعالية (Emotionalism) وتقوم على قياس مدى الأنفعال الذي يظهر به المضمون(101).

أن الباحث الذي يتعامل مع القيم والأتجاهات يواجه مشكلات عديدة عند حساب التكرارات ذات الصلة بموضوع الشدة. وكنموذج لذلك نأخذ المثال التالي:

– أن مادة الحاسوب التي تدرس لطلبة قسم الصحافة قد لا تكون مفيدة.

– أن مادة الحاسوب التي تدرس لطلبة قسم الصحافة قد لا تكون مفيدة مفيدة في القريب العاجل.

– أن مادة الحاسوب التي تدرس لطلبة قسم الصحافة لاتكون مفيدة أحياناً.

أن الباحث يحتاج إلى أسلوب مناسب للتمييز بين شدة هذه الموضوعات، وقد يكون مضطراً لبناء مقاييس (Scales) معينة. أن أحد طرق ترميز الشدة هو المقارنة الزوجية (Paired Comparison) الذي أبتكره (ثرستون) وبموجبه يقرر عدد من الحكام أي واحد من مؤشرين يعتبر عالياً طبقاً لمقياس أتجاهات مستقيم، كما أن عليهم أن يبنوا أصنافاً توضع فيها وحدات المضمون. وقد طبق هذا الأجراء في دراسة الأتجاهات الوطنية التي ظهرت في الصحف خلال مرحلتين من مراحل الأزمات في الشرق الأدنى. التي قام بها (راسل) و(رايت) سنة (1933) وقد أشارت أحدى الدراسات الى أن القياسات المبنية تجريبياً كطريقة (ثرستون) تؤدي أحياناً إلى نتائج مرضية أكثر مقارنة مع نتائج القياسات التي تعتمد على المنطق وخصوصاً إذا لم يكن لدى المرمزين خبرة كافية بدليل أن الفروق بين النوعين من القياسات أنخفضت عندما كانت كفاءة المرمزين وخبرتهم عالية.

وهناك طريقة أخرى أستخدمها (أو زجود) وزملاؤه وتقوم على أساس وضع الجمل المختلفة في أطار واحد من بنائين لغويين كما يلي:

أ– موضوع الأتجاه/ الرابطة اللغوية/ المعنى الشائع للمصطلح.

ب– موضوع الأتجاه/ الرابطة اللغوية/ موضوع الأتجاه الثاني.

فإذا طبقنا ذلك على المثال التالي: أسرائيل دولة عدوانية تهدد لبنان، نجد ما يلي:

أ– أسرائيل/ هي/ دولة عدوانية.

ب– أسرائيل/ تهدد/ لبنان.

وتحسب الأتجاهات على أساس القيم التي تعطى للروابط اللغوية ومعاني المصطلحات الشائعة. وتتراوح هذه القيم بين + 3 إلى –3 أعتماداً على الأتجاه والشدة.

أن هذه الطريقة بسبب تقليصها للموضوع إلى أجزاء تكون ذات ثبات واطئ كما أن أستخدامها في حالة البيانات الكثيرة يكون صعباً ومكلفاً.

سابعاً: أصناف أو فئات التحليل:

إن الأصناف تتنوع بأختلاف أهداف البحث ذاته. فقد تكون خاصة بجنس أبطال التمثيليات أو القصص. وقد تكون تعبيراً عن بيئة الحدث. أو عن القيم التي يعبر عنها الأبطال في سلوكهم. والواقع أن أختيار وتعريف الأصناف يعتبر من المشكلات الرئيسة في كل بحث وتنجح طريقة التحليل أو تفشل في ضوء كفاءة الأصناف. ومن بين نماذج الأصناف التي تستخدم في تحليل المضمون النموذج التالي:

1- أصناف: ماذا قيل:

أ- موضوع الأتصال: ويدور حول الموضوعات التي تناولها الأتصال.

ب- الأتجاه: كيف عولج الموضوع (التفضيل- الرفض- درجات الرفض أو التفضيل).

جـ- المعيار: ما هو الأساس الذي قام عليه التصنيف بالنسبة للأتجاه.

د- القيم: ما هي الأهداف والرغبات التي عبر عنها المضمون.

هـ- الأساليب: ما هي الطرق التي أستخدمت لتحقيق الأهداف.

و- السمات: ما هي الخصائص التي أستخدمت في وصف الأشخاص.

ز- الفاعل: من هو الذي قدم بأعتباره يؤدي أفعالاً معينة.

ح- المصدر والأصل: ما هي أصول أو مصادر الأتصال.

ط- لهدف: إلى من وجه الأتصال.

ي- الموقع: أين تم القيام بالفعل.

ك- الصراع: ما هي مصادر الصراع وما هي مستوياته.

ل- النهايات: كيف أنتهى الصراع (خاتمة سعيدة - غامضة- تراجيدية).

م- الزمن: متى تم الفعل.

2- أصناف: كيف قيل:

أ- شكل او نموذج الأتصال: ما هي الواسطة أو الأداة (صحف- راديو- تلفزيون.... الخ).

ب- شكل التعبيرات: ماهي الأشكال النحوية والصرفية للاتصال.

جـ- الأداة: ماهي الأدوات البلاغية أو الدعائية التي أستخدمت.

أن هذه القائمة ليست شاملة. إذ يمكن للباحث. حسب أهداف البحث أن يصنف عناصر أخرى. أضافة إلى أن بعض المفردات قد ترمز مستقلة عن الأخرى. فقد تصنف الأنباء إلى خارجية. وعربية ومحلية. بينما ترمز مفردات أخرى مثل تلك المتعلقة بالقيم من خلال صلتها بالتفضيل والرفض او مستويات الصراع ومهما يكن من أمر فأن كل صنف لابد أن يعرف بوضوح. ولابد من تحديد المؤشرات والخصائص التي تجعل وحدة ما من المضمون توضع في هذا الصنف أو ذاك فالبنسبة لموقع الفعل مثلاً يمكن تحديد ثلاث بيئات هي حضرية وريفية وبدوية. ويمكن أن نصنف هذه الأصناف إلى أخرى جزئية غير أن المهم بعد ذلك هو أن تعرف البيئة الريفية أو الحضرية أو غيرهما بوضوح تام. ويمكن لتحقيق ذلك وضع تعاريف أجرائية ذات مؤشرات محددة ففي مجال تحليل مضمون الأغاني يمكن أعتبار مفردات الأغنية، وملابس المطرب، والديكور بمثابة مؤشرات لنوع البيئة.

بعض متطلبات خلاصة كتابة التقرير النهائي:

أنتهى (برلسون) من دراسته المسحية النقدية لتطبيقات تحليل المضمون عام (1952) إلى أن تطور هذه الطريقة مرتبط إلى حد كبير بالتعاون والفهم المتبادل بين مختلف التخصصات العلمية التي تسعى إلى فهم عملية الأتصال وتحليل أبعادها وكشف معانيها ولعل ذلك هو وتحليل أبعادها وكشف معانيها ولعل ذلك هو ما يفسر الأتجاه الذي أتجه أليه (برلسون) في تعريف تحليل المضمون بأنه محاولة لفهم محتوى الأتصال(102) والواقع أن أستخدامات تحليل المضمون، في مجالات دراسة القيم وسير الحياة، وفي العمليات العلاجية والطب النفسي والخدمة الأجتماعية فضلاً عن مجالات السياسة والأجتماع، والأعلام، تظهر ان المحلل لابد أن يتسلح برؤية متعددة المداخل (Multi-Displinary Approache) فالمرحلة الأخيرة في تحليل المضمون شأنه في ذلك شأن أي دراسة أجتماعية (أو أتصالية) أخرى هي مرحلة التأويل والتفسير وأكتشاف الدلالات التي تنطوي عليها النتائج ومبلغ أهميتها العلمية والنظرية ويكون ذلك من خلال مقارنة هذه النتائج باستخدام نموذج تصوري معين يتبناه الباحث. لقد أكد مؤتمر دولي لتحليل المضمون أهمية هذه الطريقة في تحقيق مزيد من التكامل المنهجي بين كل من الأهتمامات الكمية والتحليلات الكيفية للمواقف وأنماط السلوك وأتساق الأتصال.

لقد لاحظت أن معظم طلبة الماجستير والدكتوراه الذين يستخدمون منهج تحـــليل المضمون، يعرضون جداول التوزيع التكراري للوحدات التي قاموا بتصنيفها ضمن فئات معينة، ولايستخدمون سوى النسب المئوية ضمن جداول بســيطة. كما أنهم، يعيدون عرض بيانات جداولهم دون أي تفسير لتلك الأرقام، مع أن المحلل إذ يلجأ إلى الأحصاء فأنه لا يتخذ منه هدفاً بحد ذاته، بل وسيلة تمكنه من التفسير بدقة.

أن المعالم الأساسية للكتابة العلمية الجيدة تتمثل في الدقة والوضوح فالمحلل لابد أن يدرك حقيقة بسيطة هي أنه لا يكتب لنفسه بل أن هناك من يقرأ ما كتب، وأن هذا القارئ سيحكم على قيمة التحـــليل بقـــدر ما وفره له من فهم لظاهرة معينة أو لخطاب معين. فالنقطة الأساسية التي ينبغي أن تبقى في ذهن المحلل هي وظيفة التقرير بوصفه أتصالاً مع المتلقين. وبالتالي فأن التقـــرير الذي يقدم لمختصين، أو لمتخذي قرار قد يختلف كثيراً عن ذلك الذي يقدم لقراء عاديين. وتذكر (سللتز وزملاءها) ان ثمة سؤالين على المحلل أو الباحث أن يجيب عنهما ويأخذهما بالأعتبار عند تخطيطه للتقرير: الأول هو: ماذا يريد المتلقي أو يحتاج لمعرفة ما بشأن الدراسة والثاني كيف تستطيع المعلومات المتاحة أن تقدم بأحسن صورة ممكنة(103).

أن كثيراً من (محللينا) ما زالوا قراءاً أكثر منهم محللين فهم يعتقدون أن عرض أرقام في جداول، مع أستخدام للنســـب المئوية. وربما مع أستخدام مقياس لمعنوية الفرق الأحصائي مثل (X2) أو (T–test) أو غيرهما يضفي على التحليل قـــيمة. وأن أيراد جمل، أو مقاطع من النص سترفع من مستوى تلك القيمة. أن المحلل الجيد يقوم بما لا يستطيع أن يقوم بـــه القـــارئ أياً كانت مقدرته على فهم النص، وأياً كانت ثقافته. فالمحلل الجيد هو ذلك الذي يتمسك بالدقة والوضوح، كما أنه في الوقـــت نفســـه يدخل القارئ أو المتلقي في دائرة عمله وأهتمامه وبالتالي، يتجاوز التعامل مع النص، دائرة الفرد، إلى دائرة المجتمع.

ثمة نقطة أخرى مهمة وهي أن التحليل، وبالتالي كتابة التقرير النهائي هي مرحلة قد تكون أخيرة لكنها بالتأكيد لا تنفصل عن كل الخطوات الأولية للتحليل بما في ذلك، التعريف الدقيق للمفاهيم، والفرضيات، والصياغة الدقيقة للفئات، من حيث تعريفها، وتعريف مؤشراتها الأجرائية، أن المحلل حين يجد امامه جدولاً عن أتجاهات الصحف الأسرائيلية أزاء فوز حماس بالأنتخابـــات (مثلاً) فأن عليه أن يحلل طبقاً للمفاهيم التي حددها مسبقاً (الأتجاه/ الصحف الأسرائيلية/ حكومة حماس... الخ) وطبقاً لفرضياته. ومنها على سبيل المثال أن الصحف الأسرائيلية سوف تتعامل مع الأنتخابات الفلسطينية بوصفها طريقـــاً لصعود الأرهاب. وكل ذلك يعني أن كتابة التقرير هي خلاصة الجهد الذي بذله المحلل منذ لحظات أهتمامه الأولى بالموضوع مروراً بعملية جمع البيانات وتفريغها وجدولتها وصولاً إلى تحليلها.

إلى جانب ما تقدم فأن من البديهي القول أن أهمية التقرير، من حيث وضوحه ودقته، وقدرته على مخاطبة الآخر، أياً كان هذا الآخر، يعتمد إلى حد كبير على قدرات المحلل الشخصية، أي على ثقافته وتدريبه العلمي، وأخلاصه لعمله، وقـــدرته على أن يتعمق في فهمه للبيانات، وأظهار علاقاتها التكاملية والتفاضلية، ان محلل المضمون الجيد يستطيع أن يرسم أفقاً مستقبلياً للتبـــنؤ. ومع أن التنبؤ في تحليل المضمون ليس متفقاً على أمكانية تحقيقه فأن المحلل الجيد يستطيع أن يحدد مؤشرات مستقبلية قد لا تتحقق تماماً وكلياً إلا أن مجرد تحققها بدرجة معينة، يؤكد قيمة تحليل المضمون كقراءة للنص، ذات أفق مستقبلي.

الخاتمـــة:

حاولنا في هذا الكتاب الصغير الذي يمثل مقدمة أو مدخل لطريقة أو منهج تحليل المضمون، أن نزاوج بـــين الخبـــرات العلمية والتصورات النظرية، آملين أن يكون الكتاب مفيداً لطلبـــتنا في كلية الأعلام وفي أقســـــام الأجتماع وعلم النفس والخدمة الأجتماعية وغيرها، فضلاً عن العاملين في الصحافة خصوصاً وأنني من خلال أطلاعي على عدة أطاريح ودراسات لاحظت أن هناك بعض الخلل في فهم وتطبيق هذا المنهج مع أنه قد تطور كثيراً بعد توسع الباحثين في أستخدام الحواسيب. وبعد نجاحـــهم في أستخدام مناهج وأدوات متعددة مع ذلك المنهج.

أن تحليل المضمون ليس مجرد قراءة دقيقة للنص. ولا مجرد جداول أحصائية، بل هو أيضاً، إلى جانب الخبرات العلمية والنظرية، قدرة شخصية للباحث. قدرة على الأحاطة والربط بين المتغيرات وتفسيرها.

الهوامش

(35) د. عبد الرحمن عربي- دراسات في نظرية الأتصال- نحو فكر أعلامي متميز- بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية- 2003- ص21.

(36) Scott Greer, on the Selection of Prblems, in, Bynner J and Stribley K.M, (eds) Social Research, Principles and Procedures, N.Y. Longman, 1985- p.48.

(37) د. عبد الرحمن عربي- مصدر سابق- ص21.

(38) عفاف أحمد عويس: أدراكات وخيالات عينة من الأطفال المصريين في سن ما قبل المدرسة للعدوان الأسرائيلي على الطفل الفلسطيني. دراسة منشورة في: أيسيسكو- منظمة الصحة العالمية- الآثار النفسية الناتجة عن الأحتلال والأعتداء على المدنيين (فلسطين نموذجاً) - المغرب- 2005- ص34.

(39) د. مها الكردي- القيم في برامج الأطفال في القنوات التلفزيونية المحلية لمجتمع الصعيد في مصر- دراسة في تحليل المضمون- دراسة منشورة في: مجلة الطفولة والتنمية- تصدر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية- العدد (15)- 2004- ص18.

(40) على سبيل المثال فأن د. أياد الفراز يذكر (غاية هذا البحث) وهي: دراسة تغطية الأسلام والعرب في الكتب المدرسية التمهيدية لعلم الأجتماع دون أن يذكر أية تفاصيل أخرى. وهو هدف عائم يصعب تحديد عناصره ولذلك بدت الأفكار الواردة في البحث منقطعة عن بعضها (راجع: أياد القزاز- صورة العرب والأسلام في كتب علم الأجتماع الأمريكية- مجلة المستقبل العربي- بيروت- العدد (4)- 2002- ص50.

(41) راجع تفاصيل في: د. حميد جاعد محسن الدليمي- أساسيات البحث المنهجي - ج1- مصدر سابق- ص32 وما بعدها.

(42) راجية قنديل- الصراع العربي الأسرائيلي في صحيفة الجيروز اليم بوست للأعوام 66/67/ 1968- رسالة ماجستير غير منشورة- القاهرة- كلية الأعلام- 1976.

(*) في كتابه: اللغة الصامتة/ 1959، ذكر أدوارد هال Hall أن هناك تعدداً في اللغات والرموز أو (اللغات الصامتة) الخاصة بكل ثقافة: اللغات الزمنية/ لغات الفضاء/ المكان التملك المادي/ لغات التفاوض والأتفاق وأن هذه اللغات الشكلية هي مصدر التصادم الثقافي وسوء الفهم بين الأشخاص الذين لا يتقاسمون نفس الرموز (راجع: {ارمان وميشال ما تلار- تاريخ نظريات الأتصال- ترجمة نصر الدين العياض- بيروت- المنظمة العربية للترجمة- 2005- ص81.

(43) السيد يسين- تحليل مضمون الفكر القومي العربي- بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية - 1980- ص22.

(44) د. عادل عبد الغفار خليل- الأعلام والرأي العام - دراسة حول تطبيع العلاقات المصرية- الأسرائيلية - بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية- 2005- ص51.

(45) نفس المصدر- ص50.

(46) أن مفاهيم مثل: العنف. والأرهاب. والعدوان. والأكراه. تتداخل فيما بينها ومع مفاهيم أخرى مثل المقادمة. كما أن هناك من يتكلم عن عنف توسي، وعنف فردي... الخ.

(47) في اللغة العربية شاع مصطلح التعاريف الأجرائية بدلاً من التعاريف العملية ترجمة لمصطلح Operational Defintion

(48) البقرة: 67-71.

(49) مادلين غرويتز- مناهج العلوم الأجتماعية- الكتاب الثاني- منطق البحث في العلوم الأجتماعية- ترجمة الدكتور سام عمار- دمشق- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- 1993- ص55-56.

(50) د. محمد علي محمد- علم الأجتماع والمنهج العلمي- الأسكندرية- دار المعرفة الجامعية- 1983- ص95.

(51) غرويتز- مصدق سابق- ص56.

(52) نفس المصدر - ص57.

(53) كريم محمد حمزة- المفاهيم والقضايا في النظرية والبحث - مجلة البحوث الأجتماعية والجنائية- بغداد - العدد الأول- 1972-

ص88.

(54) نفس المصدر – ص88–89.

(55) أيان كريب– النظرية الأجتماعية من بارسونز الى هابرماس– الكويت– سلسلة عالم المعرفة– 1999– ص21–24.

(56) نفس المصدر – ص39.

(57) نيقولاتيماشيف– نظرية علم الأجتماع– طبيعتها وتطورها القاهرة– دار المعارف– 983– ص37.

(*) ظهر علم الأعلام (والأتصال) أساساً بعد بروز الأذاعة والفيلم كظواهر تقنية أعلامية في العشرينيات من القرن العشرين فولد ذلك العلم مناهج أسلوبيه بحثية كدراسة الجمهور وتحليل المضمون ودراسات التأثير (عبد الرحمن عزي– دراسات في نظرية الأتصال– نحو فكر أعلامي متميز– بيروت مركز دراسات الوحدة العربية– 2003– هامش– ص7).

(58) راجع تفاصيل مهمة في: د. علي محمد رحومة– الأنترنيت والمنظومة التكنو– أجتماعية– بيروت– مركز دراسات الوحدة العربية– 2005– صفحات متفرقة. خصوصاً ص73 وما بعدها.

(59) عبد الرحمن عزي– مصدر سابق– ص7.

(60) نفس المصدر – ص9.

(61) أرمان ميشال ماتلار– تاريخ نظريات الأتصال/ ترجمة د. نصر الدين العياض– بيروت– المنظمة العربية للترجمة– 2005– ص48.

(62) نفس المصدر – ص51.

(63) س. رايت ميلز– الخيال السوسيولوجي– ترجمة صالح جواد الكاظم– بغداد– دار الشؤون الثقافية 987– ص93.

(64) المصدر السابق– ص89 وما بعدها.

(65) أرمان وميشال ماتلار – مصدر سابق– ص87.

(66) راجع: المصدر السابق– ص 113 وما بعدها.

(*) نفترض أن هذه القضايا مستمدة من نظريات أو أطر مرجعية سبق أختبارها أو تطبيقها في دراسات سابقة.

(67) غرويتز – مصدر سابق– ص70.

(68) أصل المثال مستمد من:

Seltiz C, and Others, Research Methods in Social Relations, Holt, Rinehart and Winston- N.Y, 1973- p.17.

(69) راجع:

Worsley P– Introducing Sociology– London. Penguin Books, 1985- p.75.

(70) Seltize- lbid- p.17.

(71) Selltize Ibid - pp- 91- 113.

(72) د. عبد الباسط محمد حسن– أصول البحث الأجتماعي– مصدر سابق– ص202.

(73) راجع: أنتوني غدنز – علم الأجتماع– ترجمة د. فايز الصياغ– بيروت – المنظمة العربية للترجمة– 2005– ص694.

(74) د. سامي مسلم– صورة العرب في صحافة المانيا الأتحادية – بيروت– مركز دراسات الوحدة العربية– 1985– ص38.

(75) د. عفاف أحمد عويس– أدراكات وخيالات عينة من الأطفال المصريين في سن ما قبل المدرسة للعدوان الأسرائيلي عن الطفل الفلسطيني. – مصدر سابق– ص35.

(76) السيد يسين– تحليل مضمون الفكر القومي العربي– دراسة أستطلاعية– بيروت– مركز دراسات الوحدة العربية– 1980– ص9–10 و ص15.

(77) د. عادل عبد الغفار خليل– الأعلام والرأي العام– مصدر سابق– ص52.

(*) يقصد بمجتمع البحث أو المجتمع الأحصائي كل الظواهر المحتملة التي لها خواص مشتركة وتندرج بالتالي تحت عنوان أو موضوع

واحد مميز. مثل: مجموع الخطب التي ألقاها النواب في دورة برلمانية معينة أو مجموع الرسائل التي كتبها عالم معين إلى زميل له. أو مجموع كتب، أو مقابلات الدكتور على الوردي الصحفية... الخ.

(78) راجع حول المعاينة- على سبيل المثال: د. سعدي شاكر حمودي- علم الأحصاء وتطبيقاته في المجالين التربوي والأجتماعي- عمان- دار الثقافة- 2000 - ص80 وما بعدها.

(79) د. مراد وهبة - المعجم الفلسفي - القاهرة- دار الثقافة الجديدة- 1979- ص301.

(80) د. أحمد زكي بدوي- معجم مصطلحات العلوم الأجتماعية - بيروت- مكتبة لبنان- 978- ص42.

(81)Selltize- op - cit- p.65.

(*) الترميز هو أجراء فني (تقني) يمكن بواسطته تنظيم البيانات في فئات بحيث يمكن أن تصبح رموزاً محسوبة عادة ومجدولة (راجع حول شروط وتدريب المرمزين).

(82) Seltize & Others- Rsearch Methods - op. Cit- p.476.

(83) راجع التفاصيل في: سيد يسن. تحليل مضمون الفكر القومي العربي- دراسة أستطلاعية- بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية - ص22 وما بعدها.

(84) Seltize& Others- Research Methods- Ibid - p.476.

(85) د. ناهد رمزي - مصدر سابق- ص58.

(*) البحث في أصله أحرى من قبل المركز القومي للبحوث الأجتماعية والجنائية تحت عنوان (صورة المرأة كما تقدم في وسائل الأعلام- وأجريت الدراسة باستخدام أسلوب تحليل المضمون (راجع ناهد رمزي- مصدر سابق- ص55).

(86) د. عادل عبد الغفار خليل -الأعلام والرأي- مصدر سابق- ص285-286.

(*) ينظر تفاصيل في: سلوى محمد عبد الباقي - صورة المرأة المصرية- دراسة في تحليل مضمون بعض البرامج الأذاعية- الأسكوا- سلسلة دراسات عن المرأة في التنمية/ بلا تاريخ.

(87) راجع على سبيل المثال: سعاد خليل أسماعيل وسلوى عقراوي. تقييم الكتب المدرسية في المرحلة الأبتدائية في العراق- مركز البحوث التربوية والنفسية- بغداد- 1968.

(88) راجع: قاموس المفردات الذي وضعه لاسويل وجامعة هارفارد في : Weber-op.cit-pp.27-29.

(89) Seltiz C., and Others- Research Method in Social Relations- N.Y Holt- p.340

(90) د. عبد الرحمن الحسون وصباح هرمز - الثروة اللغوية عند الأطفال من خلال أقاصيصهم- بغداد- مركز البحوث التربوية والنفسية- 1973- ص10.

(91) راجع تفاصيل مفيدة في د. عفاف أحمد عويس- أدراكات وخيالات عينة من الأطفال المصريين في سن ما قبل المدرسة للعدوان الأسرائيلي عن الطفل الفلسطيني- دراسة في كتاب الآثار النفسية الناتجة عن الأحتلال والأعتداء على المدنيين. المنظمة الأسلامية للتربية والعلوم والثقافة- أيسيسكو - 2005- ص28 وما بعدها.

(92) دراستها في الأصل هي رسالة دكتوراه (أنظر : التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر 1952-1970/ دراسة في علم المفردات والدلالة- بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية- 1990.

(93) كريم محمد حمزة- مصدر سابق- ص102.

(94) تحليل مضمون عينة من برامج الأطفال - وحدة بحوث الأتصال- بأشراف د. مصباح الخيرو، د. كريم محمد حمزة- بغداد - 1975.

(95) Webber- op. cit- P23.

(96) Klinberg O, Social Psychology. N.Y. Holt.

(97) كريم محمد حمزة- مصدر سابق.

(98) جمال زكي وسيد يس- أسس البحث الأجتماعي- ص377. القاهرة.

(99) Holsti – Ibid. p.650-651.

(100)Laswell H.D, The Structure and Fanction of Mass Communication, in mass Communication ed, by, w, Schramm, 1960- p.90.

(101) جمال زكي. ص389.

(102) محمد علي محمد – علم الأجتماع والمنهج العلمي – مصدر سابق– ص441.

(103) Selltize - op. cit- pp 500-501.